

1436هـ - 2014 م

إجابة السائل في أسئلة من النوازل

للشيخ

عمر محمود أبو قتادة



إجابة السائل في أسئلة من النوازل

[1]

لفضيلة الشيخ:

عُمَر محمود أبو قَتادة

– حفظه الله –

ربيع الآخر 1436 – فبراير 2015

منهجية المشروع الجهادي وخطأ العقل الشرعي

السائل: شيخنا، أحسنَ الله إليك وأبقاكَ ذخراً للأُمَّة ونفع بك وسدد على الحق خطاك ...

شيخنا الفاضل، منذ أن قرأت لك وجدتك تركز كثيراً على التوفيق بين الجانب الشرعي والجانب القَدَري مع التركيزعلى الجانب القَدَري كثيراً، وتحرص على التوفيق بين الجانب الشرعي والجانب القَدَري في كل إجاباتك ومعالجتك للنوازل من وقائع وأحداث. هل تظن أن سبب ما نراه من انتكاسة منهجية هو عدم التوفيق بين المفهوم الشرعي والمفهوم القدري للأحداث والوقائع؟

الشيخ أبو قَتادة: شيخي الحبيب ... لقد تَبَيّن لي بعد طول مسير في هذا الطريق وبعد ما رأيت من الحوادث في هذه الحياة أننا مجرد أواني لأقدار الله مع هذا الدين. والله لو أننا فكرنا الليالي الطويلة لنوصل الجهاد إلى ما وصل إليه اليوم ما استطعنا. لقد كنا نؤمن أن الله سينصر هذا الدين وسيقوم الجهاد وتنتظم الأُمَّة فيه، كان يقيناً يشوبه الخوف والانتظار، ولكننا كنا نجهل جهلاً مُركّباً كيف سيقع النصر. وأقصد بالجهل المركَّب أننا كنا نظن أن الأمور ستجري في اتجاهٍ ما ثم كان ما كان. ثم كان ما كان من سقوط الطواغيت، لم يتوقع أحد حدوث هذه الثورات؛ وخصوصاً ثورة الشام. وكان ما كان من قيام الجهاد في سورية الشام، فطارت قلوبنا إليه، ومن عاش عيشتنا فهم ما نقول، وأمّا الآخرون فيستهزؤن من هذا الأمل الذي نعيشه، لأنهم لم يروا ما رأينا، كنا نريد الأُمَّة أن تنتظم في الجهاد فكان، وكان غيرنا يريد من الأُمَّة أن تصبح علماء فلم يروا هذا فيها، كانوا يريدون منها وعياً لم يحدث قط في التاريخ إنما هي أحلام جميلة في أذهانهم، فلم يحدث.

السائل: شيخنا، هذا يدلُّ أن منهج «التربية والتصفية» قد فشل لأنه غير عملي، والطلب من الأُمَّة ما لا تقدر عليه لأنه ضربٌ من الأحلام ويخالف حقيق القرآن، الذي لم يطلب الله فيه من الأُمَّة أن تنفر كلها للتفقه في الدين، بل ينفر من كُلِّ فرقةٍ طائفةً ليتفقّهوا في الدين على فهم السلف، ومن ثم ينذرون قومهم ويعلمونهم؛ وهذا جليٌّ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

الشيخ أبو قتادة: نعم، هذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهو فرقٌ بين منهجٍ واقعي ومنهج الأحلام والذي سميته «العقل الشعري» كما سمّاه القرآن، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، وهو كلامٌ عن منهجٍ يحياه البعض، منهجُ السحر الكلامي، فالقرآن جاء بالحلول العملية لا بالخيالية أو المثالية.

أرجو أن تنشر هذا الكلام بارك الله فيك ... وقد كنت أريد الكتابة فيه. وها أنا الآن أكتبه على عجل وباختصار. أنا أقول دائماً كلما كان المشروع جميلاً في الذهن كلما أبطله الواقع.

حُكم أفراد الطائفة الممتنعة

السائل: شيخنا، أحسنَ الله إليك، لدي سؤال بعد إذنك. قد فهمت من ما تعلمته من فضيلتك من خلال ما قلته فضيلتك كتابةً أو صوتياً، أنك لا تقول بكفر كل أنصار الطاغوت أي أفراد الطائفة الممتنعة عيناً ومنهم الجند، ولكن تكفّر عيناً الدائرة المغلقة التي تَحَقَقَ فيها المناط المكَفّر وهو الموالاة المطلقة مثل أمن الدولة والمخابرات. هل هذا الفهم صحيح؟ لأني أميل إلى هذا القول.

الشيخ أبو قَتادة: ليست هذه العلة في التكفير وإن كان الموقف واحداً، فالذين يحملون الحكم على الامتناع وعدمه يلغون معرفتهم بالأفراد، فمن أدرك انحسار مانع الجهل عنه حكم عليه بحكم الطائفة وإلا فنحن نعرف تحقق الموانع في هؤلاء. ومن سميته أنت «الدائرة المغلقة» أو ما شابه فلعلمنا أن مانع الجهل قد ذهب عنه. فالمواقع قد تقوى وقد تزول وقد تضعف، وهو النظر في عوامل المنع هل هي متحققةٌ أم لا. وهذا يُبيّن لك أن هذه المسألة نسبية تتغير بحسب الواقع، وليست حالةً ثابتةً مستقرة بل متغيّرة، وبالتالي يتغيّر الحكم بتغيُّر العلة، ولذلك لا يقال كما يُنسَب لي أني لا أكفر أعيان المناصرين والأتباع مطلقاً، فهذا قولٌ يخالف الحق لكن أنا أطلب إعمال الموانع حيث علمناها، أما إلغاء الموانع بحجة الامتناع فهو التفات على ما يتحقق وجوده وهو أشبه بدفن الرأس في موطن العلم لما يدرك بحجة عدم الرؤية.

السائل: شيخنا ما المقصود بقولك: "وإن كان الموقف واحداً"؟

الشيخ أبو قَتادة: القصد أن الجاهل يحمل الكلام على وجه سهل وهو أن الرجل يُكفّر المخابرات دون غيرها فحين يرى طالب العلم هذا يستغرب، لأن هذه ليست علةٌ شرعية يحمل عليها الحكم لكن لو فهم العلة لأدرك صوابها. العلة في تصورنا وجود الموانع أوعدم وجودها، ولا ينبغي إغفال ما نعلم وجوباً.

السائل: شيخنا، يعني الأصل في أفراد الطائفة الكُفر فمن تحققت فيه موانع التكفير لا نقول بكفره.

الشيخ أبو قَتادة: هذا حق. فإن الحكم على الطائفة يستلزم الحكم على أفرادها لكن نحن نعلم وجود الموانع فلماذا لا نعملها. المخالفون يقولون هذه طائفة ممتنعة والطوائف الممتنعة لا يعمل فيها الموانع. أقول لهم: وضعتم رؤوسكم في الرمال حين ألغيتم ما تحققتم من وجوده. أمّا الغلاة فهم يرونهم كفاراً لجهلهم بأصل الدين. وهذا منتهى الجهل وهو أصل الغلو. لأن إدراك هذا القول على حقيقته يعني تكفير الأُمَّة جمعاء لأن العلة في الجهل موجود في بقية الناس. وما هو جهلٌ عند هؤلاء موجودٌ في عموم الأُمَّة. وهذا رأيي لما ظهر كان يستهزئون به ثم الآن بحمد الله هو قولُ عموم أهل العلم ولا يخالف فيه إلا أفرادٌ يحبون التشدد في كُلِّ باب أو أن لهم تجربةً ما مع جهةٍ أمنية فيقع الحوار حول تجربته لا أصل المسألة. ولذلك ستجد أقواماً من الناس ينكرون هذا بضرب أمثال لعسكر بلد أو جهة أمنية تحقق كفرها كَسَبِ الله أو علمهم بالتوحيد الذي نبيّنه للناس فيقولون انظر لهذا لا يُكفّر من سَبَّ الله أو ما شابه ذلك، بل سيزعمون أني لا أكفّر مَن أجمعَ العلماء على كفره. وبالتالي سيكفرون الرجل لأنه لم يكفر الكافر. والله يرحمنا ويرحمكم.

توضيح الشيخ أبو قَتادة حول ما جاء في لقاءه مع صحيفة Arab Daily News

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين. ثم أمّا بعد:

السائل: لقد نشر الصحفي علي يونس على جريدة **Arab Daily News** مقالاً يزعم فيه أنه مقابلة حصرية للجريدة. وجاء في المقال نقاط تتضمّن أفكاراً يتبناها الشيخ ومن منهجه، وكذلك تَضَمّنَ انتقاداً للشيخ أسامة بن لادن، وأن الشيخ أبا قَتادة لا يراه مؤهلاً لقيادة الأُمَّة شرعياً أو منهجياً وأن الشيخ كان ينصح الإخوة بعدم مبايعة الشيخ أسامة – رحمه الله –، فبعد أن اطّلعت على المقال، وجدت أن جُلَّ ما فيه من أفكار ونقاط منهجية قالها الشيخ من قبل وهي معروفة من منهجه ومن قرأ كتابات الشيخ يعلم أنها من بنات أفكاره، وبالرغم من وضوح الاسلوب الصحفي السطحي الإخباري الذي سيقت من خلاله هذه الافكار والنقاط المنهجية. وكذلك تَضَمَّن المقال انتقاداً للشيخ أسامة – رحمه الله – يناقض ما أعرفه عن رأي الشيخ أبو قَتادة في الشيخ أسامة، وأذكر أن أول التزامي سمعت كلمةً للشيخ أبي قَتادة يتكلم فيها عن الشيخ أسامة – رحمه الله – وقد أبكاني من كثرة ما مدح الشيخ أسامة – رحمه الله – وتواضع أمامه، فقلت هناك خطأٌ ما ولا بُدَّ من الرجوع للشيخ أبي قَتادة والاستفسار عن هذه النقطة.

وعلقت على المقال ببعض التغريدات أوضحت فيها ما فهمته من المقال، وهذا رابط التغريدات:
http://justpaste.it/katadaa

وانتظرت شيخي وقرّة عيني حتى يتواصل معي وأفهم منه ما جاء من تناقض عن الشيخ أسامة – رحمه الله – بين كلامه القديم وكلامه في المقال. ومن فضل الله عليّ أن شيخي يطّلع على ما أكتب ويصحح لي ما أُخطئ به، ويشرح لي ما عجزت عن فهمه أو فهمته على الوجه الخطأ. وتواصل معي شيخنا بعد أن قرأ ما كتبت، وجزاه الله خيراً أوضح اللبس الذي وضع في المقال وتبيّن أن الصحفي نقل ما فهمه خطأً وَكَذَّبَ ودَلَّسَ في بعضه.

وهذا مضمون ما دار بيني وبين شيخنا – حفظه الله –، أنقله كي تتضح الصورة ويُدمَغ الكذب المفترى بالحقيقة الناصعة.

الشيخ أبو قَتادة: أخي الحبيب، شكراً لوعيك على كل كلمة في المقابلة، والشيء الوحيد الذي كذب فيه المراسل عليّ هو كلامي عن أبي عبد الله – رحمه الله –. والذي قلته فيه أنني لم أكن أقبل الدخول في بيعةٍ له قبل سبتمبر. ولما حدث ما حدث في سبتمبر تغيّرت المعادلة. وكانت الكثير من التنظيمات ترفض الدخول في بيعته. مثل الشيخ الزرقاوي والجماعة المقاتلة والشيخ أبو عيّاض التونسي. وقلت له هذا ليس للنشر، ولكن لأذكر له أن الخصوم يصنعون فينا الخيرات، واتحاد الناس كان بسبب عداء أمريكا، وهذه قضيةٌ لا ينكرها أحد. وكان هذا للتدليل أن هجوم أمريكا على داعش هو من جعل الناس يذهبون إليها. وقلت له أن الناس وزعوا الحلويات بعد سبتمبر في المخيمات الفلسطينية وهم لا يعرفون من عمل الفعل يومها.

السائل: شيخنا، أنت استشرتني بإجراء مقابلة مع [الجزيرة] بسبب إلحاحهم المستمر وفضيلتك كنت ترفض الخروج على الإعلام بالكلية في هذه الفترة، وحبذا لو جعلت أول خروج لك على الجزيرة ويكون مباشراً كي لا يقع التدليس والكذب.

الشيخ أبو قَتادة: اسمعني هذه لم تكن مقابلةً أبداً، وقد كذب بدعواه أنها مقابلة، إنما أحضره الشيخ أبو مُحَمَّد إليّ، وكانت جلسةً حوارية، وقد حضر مرتين مع الشيخ، ومرةً أحضره الشيخ أبو سيّاف إلى عرس ابنه، وتكلمت أمام الناس جميعاً، وهو سجل الكلام في ورقة، وكان هناك أسئلةٌ في الجلسة منه ومن غيره. وكما رأيت فليس في المقال سؤال وجواب، إنما هي مقالةٌ لشيءٍ فهمه مني.

والرجل كما كل الصحفيين لا يفهم عُمق ما أطرح من مفهوم السلفيّة والجهاد؛ فأنا أرفض السلفية طرحاً في الجهاد، لأن الجهاد اليوم هو جهاد أُمَّة وليس طائفة، ولم أقل أبداً أن الجهاد اليوم عند أهله خطأ، بل قلت أنا أرفض جهاد النخبة لأن عصر هذا الأمر قد انتهى بفضل الله تعالى.

كلامي في المقال واضحٌ في العموم، والرجل لم يكذب إلا في قضية بن لادن وفي قولي أن الجهاد ليس بالسلاح فقط. فأنا لا أفهم الجهاد في القرآن والسُنّة إلا أنه القتال. ولكن أفهم أن جماعات الجهاد اليوم في وجودها يجب أن تتوسّع عما كانت عليه، وهذا لأن واقعها قد تغيّر وليس هذا تطويراً لمفهوم الجهاد الشرعي بل هو تطويرٌ لجماعات الجهاد في عملها.

ولكن شيخي الحبيب أنت تعلم أن البعض يبغضني حتى لو قلت **لا إله إلا الله**. وأمّا السفهاء الحدثاء الذين لا يعرفون إلا الشتم والطعن، فأمرهم لا يعنيني، لأن هؤلاء احتقرهم لأنهم أصغر من أن يفهموا وأنا يائسٌ منهم ومن إنصافهم.

والعجيب أن خالد الحايك يخرج العنوان فقط أني لست سلفيا ولا جهاديا دون أن يذكر ماذا أقصد بهذا القول.

مبارك عليهم وجبة اللحم من جسمي.

السائل: وهذا دليل عدم إنصاف وتدليس من الحايك، وتعريض مُبطّن من الشيخ في الحايك الذي لم يفقه كلام الشيخ، وأترك للمتابع أن يتوقع قصد الحايك بهكذا تخريج مع أنه يدعي علم الرواية!

الشيخ أبو قَتادة: لولا أنك حبيب، ما قلت لك كلمة فأنت ومثلك من يعنيني عسى أن تكون أيامكم خيراً من أيامي. ما باليد حيلة هذا قدرنا مع البشر، جريمتنا أننا فهمنا ونحب للناس أن يفهموا، وهم بدلَ الشكر يسبون ويحبون أن نكفر ليقولوا أنهم على صواب .والله أشعر انهم يتمنون ان نكفر، الله المستعان.

لو قرأوا المقال كله لقالوا مثل ما قلت أنت: كله جيد إلا الكلام عن الشيخ أبي عبد الله – رحمه الله –، وهذا حق.

يا أيها الحبيب والله سأقول الحق الذي يكرهه البشر من كل الجهات سواء كانت: الحكومات والتنظيمات وأهل الغلو وأحبابي وأهلي وإخواني.

ولقد تأمّلت أكبر بلاء وقع في الصديق فوجدته خلافه مع فاطمة لأنه يحبها لحبه لأبيها ومع ذلك أغضبها للحق الذي يعلمه.

هذا ما عندي أكتبه لك لأنك محب تحب الحق أكثر مني، وتحب لي أن أقول الصواب ولا أخطيء. فإن أخطأت وأنا اهل له رجعت والحمد لله رب العالمين.

جوابٌ حولَ الجهاد في اليمَن بجانب الإخوان المسلمين

السائل: شيخنا الكريم؛ أنا من أنصار الشريعة في اليمن، وعندنا إحدى الجبهات فيها عوام، والأكثرية فيها من الإخوان المسلمين ولهم القيادة العسكرية، وفي بعض الأحيان يشارك الطيران اليمني في القصف ضد الحوثيين؛ فبعض الإخوة يشعر بالحرج، والبعض الآخر يرفض القتال بحجة مشاركة الطيران وأن الراية عمية. مع أن هذه الجبهة مهمة وهي لدفع صيال الحوثة عن مناطق سُنية ليست تابعة للإخوان والقوة فيها للقبائل، وأمراؤنا يقسموننا على الجبهات بما يرون فيه مصلحة المسلمين.

فالسؤال: ما حُكم القتال في هذه الجبهة وهل يقال بأن رايتها عمية؟ وهل يجوز للمجاهد أن يرفض أمر أميره ويذهب لجبهةٍ أخرى ليس فيها حزب الإخوان؟

الشيخ أبو قَتادة : لا يمكن في واقع الحياة أن يسلم فعلٌ قط بلا مشاركة، وتصوُّر وجود الطهر التام في حَدَث جهادي متصل ودائم من أبعد ما يحصل على الذهن. والإخوان المسلمين عندهم البدع والغلط ولا نكفرهم، ومشاركتهم في قتال الحوثيين إن كان لهم السطوة والأكثرية لا يضر مع وجوب البحث عن تحقيق الغلبة لكم، فإن عجزتم فالقتال معهم فيه خير عظيم، وهذا إن أمنتم جانبهم.

هذا ليعلم أن المقصود من الجهاد في بعض صوره هو دفع شر طائفةٍ تفسد الدين وتقتل الناس وتستبيح الأعراض، وهذا المعنى موجود في طوائف تنتسب لأهل السُنّة وهم غلاةٌ مجرمون، إذ تجدهم حين يحكمون يفعلون الشر في الناس من القتل على الظنة والشبهة، ويكفرون بالعموم كما يفعل الروافض وأشد. فهؤلاء لا يقاتَل تحت رايتهم لأن تمكينهم يعني الشر في العاقبة؛ فليست العبرة في القتال إلا تحقيق مصالح الحق والمسلمين. فإن فاتَ هذا أو جاء ضده لا ينشط إليه أبداً. ويكون القائم في هذا النوع من الجهاد مفسدٌ غير رشيد. فلا تغرنكم الشعارات بل لا بُدَّ من النظر الى الحقائق والمعاني فعليها تُعَلَّق الأحكام كما تعلمون.

وأنا أشدُّ على هذا لأن هناك من الجهل الشديد في هذا الباب؛ حيث يوجد من يفعل في الأُمَّة أفعال الروافض بل أشد. فالروافض يكفرون السُنّة تحت دعوى النصب، وهؤلاء يكفرونهم تحت دعوى الجهل بالتوحيد أو بحمل أعمال على حكم الشرك وليست كذلك، أو هي كذلك لكن يجهل الناس وجهها لخفائها، فكلهم إن حكم وسيطر أفسد في الارض.

أمّا ترك الجبهة لوجود الإخوان فيها والذهاب إلى جبهة اخرى ليس فيها ما يكره؛ أصدقك القول إن هذا من جنس التحايل. فالعبرة بالجماعة التي بايعتها لا من كان معك في الساحة أو المكان. فالمتحول إلى ساحة أخرى هو مقاتل تحت نفس الراية التي بايعها فما الذي تغير في المعنى؟

حقاً إن الشباب مُتْعِبٌ ولا يفهم علل الأحكام ويتعلق بالقشور دون المعاني، وأنتم تعلمون أن العبرة بالمعاني والمقاصد لا الألفاظ. وقد يقول قائل: أنا أخرج من الجماعة بالكلية وهذا هو عين الشر؛ إذ فيه التفريق والفساد والمنازعة، وهذا عين ما يريده الشيطان وجنده.

أمّا خروج البعض عن القتال بمجرد حضور طائرات المرتدين لقصف الحوثيين بزعم ما ذكرت فهذا عين الجهل والغلط. فإن العيش في الفراغ لا وجود له إلا في الذهن؛ إذ الحياة هذا شأنها تختلط فيها المصالح وتتضارب، ولو فكرت قليلا فيما يطلب هؤلاء لوجدت أن جميع جهاد الناس باطل كما حدث في أفغانستان والبوسنة والشيشان، وكذلك اليوم اليمن.

فإن المصالح بين الناس قد تتقاطع. فهل يضر جهادنا ضد قوم قتال أعداء لنا لهم في نفس الوقت؟ ومن اشترط في الوجود هذا الأمر؟ إذ لو اشترطه أحد لبطل جهاد المسلمين للصليبيين وللتتار؛ بل لبطل جهاد الصحابة ضد الفرس حيث يقاتلهم الروم والعكس كذلك.

والقصد أننا نقاتل من أُمِرْنَا بقتاله؛ فإن جاء غيرنا لقتاله لم نتوقف عن القتال بحجة حضور آخرين هم من نوع هذا العدو. وهذا يفهمه صغار طلبة العلم ولا يجادل فيه إلا جاهل ولا يردُّه إلا من لم يفهم فقه الحياة والجهاد. فقتال الحوثيين قتال دفع، وقتال الدفع عند أهل العلم لا شرط له، والله أعلم وجزاكم الله خيراً.

جوابٌ حول حُكم المحكمة الدستورية الليبيّة ببطلان حكومة وبرلمان حَفتَر

السائل: هناك مسألةٌ طرأت على بعض الإخوة وأشكلت عليهم، ونودُّ أن نسأل عن الواجب فيها، والمسألة هي أن هناك إخوةٌ أفاضل يتمركزون في مدينة [...]، وهذه المدينة مدينة مهمة واستراتيجية في الحرب ضد حَفتَر، لأنها قاعدة خلفية للإخوة الثوار في بنغازي، وهي منطقةٌ قبلية تقع [...]، والإخوة فيها من أبناء قبائل معروفة، وهناك في المدينة قوة أمنية لأحد الدروع التابعة لحكومة الثوار في طرابلس ، وهم يتعاونون مع الإخوة ويساعدونهم لأجل القرابة والمعارف والاشتراك في الثورة ونحوها، وقد وقفوا معهم عدة مواقف جيدة من قبل ، وهؤلاء الإخوة لهم علاقة محدودة مع هذه القوة ، وكانوا يتلقون بعض الخدمات من قبلهم ، ولكن وبعد حدوث موضوع التحاكم إلى المحكمة الدستورية بين الحكومتين «حكومة الثوار وحكومة حَفتَر»، قامت هذه القوة التابعة للدرع بإصدار بيان تؤيد فيه حكم المحكمة القاضي ببطلان حكومة حفتر وشرعية حكومة الثوار، وانه على الجميع التقيد بقراراتها وبأحكامها ضرورة وأنهم مع الحكومة المعترف بها... إلخ ، ولأن الإخوة لا يؤمنون بشرعية هذه المحكمة والأحكام الصادرة عنها خلافاً لقوات الدرع المذكورة ، فقد حدث عندهم إشكال في موضوع هذه القوة من الدرع، وحكم التعاون معهم في التصدي لحفتر ونصرة الثورة ونحوها ، وما حدود المعاملة الواجب أحداثها، وما النصيحة لهؤلاء الإخوة في هذا الظرف الحساس؟

ولكم جزيل الشكر ... الله يحفظكم.

الشيخ أبو قَتادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اعلم أخي الحبيب أن أعظم ما ينصر الله به الدين هو وقوع نظام التدافع الإلهي، وخاصةً حين تكبر الفتنة ضد المسلمين، فيقع الخلاف بين خصومنا أنفسهم وبهذا الخلاف يحصل للمسلمين فجوة من البقاء والعمل، ومن لم يعقل هذا خالف السُنَن، ومن خالفَ السُنَن كان إلى الفناء أقرب منه إلى البقاء، ونحن وإن كنا لا ندخل في أي تحكيم لغير شرع الله، لكن علينا أن لا نمنع من يقول كلمة ما على جهة التحكيم أو القرار بها يتم تخذيل صفوف الخصوم، وفقه هذا هو الحكمة لو يعلم الناس، فتأمّل في حكم هذه المحكمة، كيف تراه أحدث من الخير لنا بضرب الشرعية التي يريد المجرم حفتر ومن معه الاستناد إليها إمام العالم كيف سقطت، وهذا من خذلان الله له حتى في دينه الذي يدين به، ولذلك نحن نفرح له لهذا المعنى، وأمّا من أتانا ليقول هذه الأمور لا قيمة لها، فنقول: لقد جهلت

حكمة السُنَن والوقائع الكونية وكيف يقع النصر الإلهي للمسلمين، ولذلك أخي الحبيب علينا أن نُخذِّل عنا ما استطعنا، لأننا لا يمكن أن يقع لنا النصر في هذا الزمان إلا بهذا الذي ذكرته لك، ولو اجتمع علينا الخلق كلهم ولم يقع بينهم الخلاف لذهبنا ، لأن هذا هو شان السنن في البقاء والذهاب، ومن تَفَكَّر ونظر في حال السيرة وجد هذا جلياً، ومن تَفَكَّر في التاريخ وجده على هذا المعنى، أمّا الذين يريدون مجابهة العالم كله دون تفريقٍ بين الناس؛ فهؤلاء من أجهل الخلق وأفسد الناس عقولاً.

فحين يفرح مؤمن بهذا القرار فهو يفرح به لما يحصل به من الخذلان لأعداء الدين، ولما يقع من تفرقهم وذهاب شرعيتهم حتى في دينهم، لا لمعنى أن هؤلاء منّا ونحن منهم إلا إذا أعلنوا أن شرعهم الذي يدينون به هو الإسلام، تَفَكَّر في هذا جلياً تراه حقاً، والحمد لله رب العالمين؛ وإني أشهد الله أني فرحت أشدَّ الفرح لهذا القرار، فهو إلى الآن منع من أخذ شرعية الكفر بدخول المجرمين إلى ليبيا لقتالكم، وهذا شيءٌ مهمٌ في عالم السُنَن، وإياكم إغفاله.

وأنا لا أحبُّ التبجح كما يفعل الجهلة من قولهم: "نحن نستطيع أن نقاتل العالم كله بلا تفريق بين الناس"، فهؤلاء رأيناهم كيف يفرون عند حدوث النوازل الكبرى أو يَبيدون ولا يُسمَع لهم خبر ولا أثر، هذا ما أردت ذكره لك فانشره بين إخوانك ، وجزاكم الله خيراً...

بقيت مسألةٌ تتعلق بصوغ عباراتنا ندعو كل مسلم لها، وهو وجوب التقيّد بالشرع المنَزَّل على مُحَمَّد ﷺ عند كل كلمة نقولها، وإن عصينا دفعنا الثمن غاليا بعد ذلك ؛ لأن هذا هو عاقبة المعصية، فقول من قال شرعيتنا تنبع من هذا القرار مخطئٌ ولا شك، ولا يمنع أن تقول هذه المحكمة قولاً بعد ذلك فيه الضرر للمجاهدين والمسلمين، فماذا سيكون شأنه.

ولو قال هؤلاء عبارات شرعية تناسب المقام لكان أصوب وأتقى، وأنا ألب منكم أن لا تتعاملوا مع الناس من خلال تصريحاتهم؛ لأن الكثير منهم جاهل بالدين ولا يعرف ما تعرفون من الحق ، ولذلك عليكم زيارتهم والحديث معهم، وبهذا تصوبونهم وتعلمونهم، وقد تجدونهم خيراً ممن يتبجّح بمعرفة الحق وهو مفسدٌ له.

لقد عاشت الأُمَّة طويلاً وهي لا تسمع إلا الباطل ، وهي تؤمن بالإسلام جملة ولا تعرف التفاصيل، ومقابل هذا تجد إخواننا قد درسوا علم التوحيد ومسائل الإيمان والكفر حتى صارت بينة واضحة، وهي لوضوحها عندهم ولكثرة

ترديدها ظنوا أن الأُمَّة تعرفها وقد قامت عليهم الحجة والأمر ليس كذلك، فلقد حيل بيننا وبين الناس طويلاً، بل إن بعضنا ترفع على الناس ولم يعلمهم الحق، بل تَكَبَّر عليهم واستلذَّ أنه يعلم وهم جهلة، بل ان بعض الضالين يتلذذ بتكفير الأُمَّة بهذا الحال، لا لأمر إلا لأنه علم وجهل غيره، فانتبهوا لهذا التلبيس الشيطاني، وإياكم والوقوع فيه.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى آمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نُصح السائل من أرض الساحل

السائل: حيّاكم الله وبياكم ونفع بكم شيخنا الحبيب، ولست والله أهلاً لإمدادكم بل غايتي ورجائي من التواصل معكم أن لا أُحرم من علمكم وتوجيهاتكم، وخاصةً أنني في موطنٍ أحوج ما أكون فيه إلى سؤال أهل العلم والاستفادة منهم، والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفعني بكم، وناشدتك الله ياشيخنا الحبيب وهذا ملتمس ورجاء من جنابكم أن تنصحوني وتوجهوني وتجيبوني عما أحتاج معرفته في أمور الدين ومايقوم به جهادي ويستقيم به أمري، وكلما سجدت أو كنت في مكان رباط أو نزال فأنتم أولى الناس بدعائي.

الشيخ أبو قَتادة: وجزاكم الله خير الجزاء على كلماتكم الطيبة وأسأل الله أن يتقبّل منكم الجهاد والرباط وأن يحشرنا وإياكم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ... آمين.

ما تسأل عنه سأجيبك ما وسعني ذلك ووالله إن المجاهد هو أولى الناس بالرعاية والحفظ، ما أنصحك به وأنصحكم عموماً من نفر العظم عبادة في هذا الزمان هو لزوم غرز الجهاد، واعلم أخي الحبيب أن أسواق الخير مستورةٌ بحجب الفتن، يقع فيها أي الفتن الكثيرون، فلا تشتغل عن عبادة الجهاد بشيءٍ آخر، وإياك وأمراض المهاجرين كما كان الناس يرونها في مواطن سابقة حيث يتركون جبهات الجهاد ويتفرغوا للغيبوبة والنميمة والطعن في أحوال الجهاد وأهله، وأنت تعلم أن أُمَّتنا نامت كثيراً وغاب عنها التربية والعلم، فنسيت فيها الكثير من الأمراض، وما من مكان في بلاد المسلمين إلا فيه أمراضٌ كثيرة؛ فبعض المهاجرين تتبعه هذه المظاهر في المهاجرين والأنصار فينشغل بالصلب والطعن والتنفير، ولقد كان العلماء يحذرون من هذا، ولم يستفد من أسواق الخير والجهاد إلا من ربط قلبه على العمل الصالح والتفرغ لما نشط له من الطاعة والعبادة والجهاد، وأولى الناس بالفوز هم الشهداء، ثم إن جهاد اليوم قد ابتلي بالغلاة وفسادهم وضلالهم ووالله إن هؤلاء قد اجتمعت فيهم أسفل الأخلاق وأرذلها وأضلُّ المناهج وأفسدها فإياك أن يصيبوك بشررهم ودخان جهلهم، فمهما زيّنوا لك الأمر فإياك وإياك، والله إنها تحرق دينك وقلبك، فهؤلاء لا خلاق لهم، ولا دين عندهم، ولو انتصروا لأفسدوا دين الناس ودنياهم.

أرجو لكَ التوفيق والسداد.

جوابٌ لسؤال وارد من الغوطة حولَ التعاطف مع جماعة البغدادي

السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

حيا الله شيخنا وحبيبنا ... نسأل الله أن يمن عليك بالخير والبركة ...

شيخنا حفظكم الله وبارك بكم وبعلمكم ... نحن في الغوطة الشرقية من جنود جبهة النصرة نعاني من بعض الإخوة تعاطفهم من جماعة البغدادي، ونريد منكم حلاً لهذا التعاطف.

بارك الله بكم شيخنا وبعلمكم.

ويا حبذا أن تقدم لأبنائك في الغوطة الشرقية وصيةً تذكرهم بالله و تشحن هممهم ولا يخفى عليك أن المجاهدين في الغوطة أكثر من سَنة ونصف.

بارك الله بكم شيخنا وبعلمكم وعملكم.

الشيخ أبو قَتادة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أهلاً وسهلاً بالإخوة الأحبّة وبخير الناس في هذا الزمان، وهم المجاهدون في سبيل الله، وكم يفرحني أن أرى كلماتكم معي وتخاطبني، ووالله إن جهادكم هذا لن تتوقف مسيرته حتى تدخل أجنادكم بيت المقدس بإذن الله تعالى، وإياكم أن تحجبكم الفتن عن رؤية ما أنتم عليه من الخير، فالفتن تصاحب العمل الصالح حتى في صلاته كما تعلمون، وهي من أجل فرز الناس ومعرفة مراتبهم وما في قلوبهم، ولقد رأيتم ان أسواق الخير دائماً تقوم كما قامت في أفغانستان والشيشان واليمن فلم يفز فيها إلا من انشغل بالطاعة والجهاد فهؤلاء كتب الله لهم الشهادة أو الإمامة، وتذكروا أن جهادكم اليوم في الغوطة، وإنكم على مرمى حجر من بيت المقدس، فأي خير أنتم فيه، ووالله إنه ليحق لكُلِّ عاقلٍ أن يحسدكم، وأن يتمنى مقامكم، لكن تعلمت من الحياة أن الذي يعيش النعمة ويسبح فيها لا يحس بعظمتها، كحالة واضع الطيب عليه لا يشمه إنما يشمه الآخرون حوله، ولذلك لا تنشغلوا بغير الجهاد والذكر والدعاء للمسلمين.

وهذا يوجب عليكم الرحمة على المسلمين، والتعامل معهم برفق فإن أُمَّتنا قد عانت الكثير من الطواغيت، فانتشر فيها الجهل والغلط، فالصبر عليها حتى تعود لدينها، ولا تعاملوا بالشدة فتنفر، وأنتم تعلمون أن هذا جهاد أُمَّة لا جهاد طائفةٍ ولا جماعة، ولن تتحقق مقاصد الجهاد إلا بهذا، أي أن تقوم الأُمَّة به، كما أن عليكم الحب والتواد والرفق بينكم، وعدم متابعة الشيطان في تفريق الإخوة والأحبّة، بل الصبر والرفق والدعاء لبعضكم في الصلوات وفي ظهر الغيب.

أيها الإخوة الأحبّة لقد نفرتم لواجب الوقت، ووفقكم الله له حيث منع كثيرون، وأصبحتم ما تمناه غيركم ولم يدركوه، فلا تسقطوا أنفسكم من عين الله تعالى، حيث يعطيكم الخير فترموه، ويوقفكم مواقف الشهادة وأعظم عبادة فترتدوا على أدباركم، ولقد والله رأيت من فرَّ من الزحف من عندكم إلينا فلم أرَ إلا المهانة في الوجوه، والصغار والذلة حيث تركوا الجهاد وذروة سنام الإسلام فعادوا إلى جيفة الدنيا، وخبث المواطن والخسّة في النفس واحتقار الناس لهم، والعجب أن كل من عاد رأوها الناس منهم الكذب والتلون والتناقض في الكلام وصار إجماع الناس أن هؤلاء ما أعادهم إلا الجُبن، والخوف من تبعات الجهاد في سبيل الله تعالى.

أمّا شأن الغلاة من أتباع البغدادي الضال فوالله إنها فتنةٌ لا يسقط فيها إلا الجهلة والأرذال، ولقد استقصي الإخوة خصال من صار إليها فلم يروا حميداً لدينه ولا لخلقه ولا لعلمه بل هم الشذاذ من أصحاب الخلق الشيء والغلو في الخطاب والترفع عن الخلق والإخوان، ثم إنكم رأيتم أيها الإخوة الأحبّة أنه لا يوجد طالب علم حميد قد مالَ إليهم، ولا يوجد إلا الجهل، ثم ازداد الشر والفتنة في تكفيرهم المسلمين والمجاهدين، ثم قتلهم وقتالهم، فهل هذه أخلاق سُنّي، أو خصال مهدي، ووالله ثم والله أني استخير الله فيهم دوماً فلا أزدادُ بهم إلا بصيرة أنهم كلاب النار، وأصدقكم والله حسبي وحسيبكم أنهم إلى زوال، وأنها فتنةٌ لتنقية صف الجهاد من هؤلاء، فهم ليسوا منا ولسنا منهم.

ولا يعدم أن يكون بعض البسطاء قد انغرى بهم لإعلانهم الخلافة وإقامة الحدود، لكن هذا لا يُنسي العاقل أصلَ مذهبهم وعملهم، وها أنتم ترون تفرغهم لقتال المسلمين والمجاهدين، وخاصةً في أماكن نشاط المجاهدين، وكان هؤلاء الجهلة الضالين لا يحبون أن يكون نصر للمسلمين، وقد سمعتم شهادة صلاح الدين الشيشاني وأنهم يكفرونكم، ويرون ردتكم، وهذا يعني عندهم كما تعلمون أنهم يستحلون دماءكم، ويرون أن قتالكم لردتكم أولى القتال في هذا الزمان، فأيُّ إجرامٍ أكبرُ من هذا، وأيُّ خبثٍ في قلوب الناس أكثر من هذا الخُبث؟!

هؤلاء في لحظة غفلةٍ منكم يصنعون من الشر فيكم ما لا تتخيلونه من الأعمال، ولذلك أبعدوهم عنكم، واياكم واطلاعهم على شؤونكم التي تخصُّ جهادكم وأموركم، بل لو استطعتم طردهم من عندكم لكان هذا خير.

وإياكم والورع الكاذب البارد فيهم، فهؤلاء فيهم سعار الكلاب الضالة لا تدرون متى ينشط فيهم، وحينها الندم ولا ينفع. أولا حاوروهم بالعلم والنصيحة فإن لم يقبلوا فأبعدوهم عنكم واتقوا منهم كما تتقوا من الأعداء وهم كذلك وقد قتلوا الناس بعد تكفيرهم واستحلوا أموالهم ودماءهم، والبعض من أصحاب الورع البارد ما زال يردد أنهم إخواننا، لا والله ليسوا كذلك وسترون منهم أكثر مما وقع.

والله إني لأعجب كيف يتعاطف رجلٌ يتقي الله ويعلم حرمة الدماء ويعلم خطر تكفير المجاهدين واستحلال نسائهم، هذا والله العجب الذي لا ينقضي، ولا أظنكم أنكم تجهلون مقالة هؤلاء الأخباث، فقد صحَّ يقيناً بما لا يدع مجالاً للشك أنهم يستحلون دماءكم وأموالكم، بل والله إن بعضهم ليهددكم أن يستحل أعراضكم، وأنا أقول هذا عن يقين لا شكَّ فيه، بل إن بعض الصغار منهم قال لصاحبٍ له وهو شابٌ غِر: "والله لأن قدرت على فلان وذكر رجلاً كبيراً منكم لذبحته بيدي لردّته."

الله، الله في هذا الجهاد، فلا تضيعوه بتفريطكم، ولا بتركه للأوساخ والأرذال، واعلموا أنكم لو فعلتم هذا ستكونون أول ذاهب إذ لن ينصركم الله، ولن يترككم خصومكم، انصروا الحق فسينصركم الله، واحفظوا هذا الجهاد من أن يسرقه الأخباث من الناس كأتباع الكذاب الضال البغدادي، فإن فعلتم كان لكم النصر وأحب الله البلاغ وإقامة الحجة وكنتم أنتم أهل هذا الحق وحماته، انصروا الحق فسينصركم الله.

أعتذر عن تقصيري معكم فأنتم أولى الناس بالخير والحب والنصيحة، لكن هذا جهد المقل الضعيف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمةٌ قصيرة للشيخ أبي قَتادة في ليلة العيد

أقول لكم كلمةً لا أطيلُ بها ويستطيع كُلُّ واحدٍ منكم أن يقودها على المعنى الحسن ليراجع بها نفسه ويراجع بها العلماء ويراجع بها إخوانه.

إن هذه الأُمَّة المباركة العظيمة المكَرّمة التي أكرمها الله ﷻ بكل كرامات الوجود والتي اجتمعت هذه الكرامات كلها في حبيبنا مُحَمَّد ﷺ ثم سَرَت هذه الخيرات العظيمة حتى دخلت في هذه الأُمَّة منذ أن بعث النبي ﷺ وإلى يوم القيامة.

فما أنصح به إخواني أن هذه الأُمَّة تعيش لحظة تحول ولحظة بناءٍ جديد ولحظة دخول حقبةٍ تاريخيةٍ عظيمة، وستكون أمارات فليس من الخير ولا من العلم أن يتكلم المرء بعد انقضاء الحدث فيقول كانت تلك فتنة وكانت تلك ملحمة وكان ذلك سوقٌ من أسواق الدماء.

ولكن من الخير لي ولكم وللأُمَّة أن أذكركم أننا على أسواق الخير وأن هذه الأُمَّة مقبلةٌ على أسواق الخير التي سيشهدها العا لم أجمع.

بلاد الشام أيها الإخوة الأحبّة بلادٌ مباركة، وإذا وقف بعض أهل العلم على بركة بلاد الشام وبما يحدث فيها من الخيرات المادية من طعام وشراب ومزاجية أهلها فإن أعظم البركات في هذه الأُمَّة أن تكون محطةً لنُّصرة الحق وإماتة الباطل وهكذا كانت منذ أن دخلها الصحابة.

هذه البلاد لم يهدأ فيها الخير وأسواق الخير وأسواق الحق وعلى مدار التاريخ كانت هذه البلاد هي بلاد الخير لقد تحطمت جحافل الصليبين في هذه البلاد وعاشوا فيها طويلاً ولم يكن اليأس طبيعة هذه الأُمَّة وكذلك عندما جاء التتار تحطمت رماحهم وجيوشهم والجماجم في هذه البلاد.

واليوم جاء اليهود والناس يصيبهم اليأس لطول الأمد وعند أهل الإيمان طول الزمن يزيدهم ثقة، وما زال في هذه الأُمَّة يحدث أثره في الوجود ويقيم معالمه في النفوس، هذه ملاحم حقيقية القدم وقد أثبتنا في وجهها الصبوح فانتظروا أهلها فسيسعد فيها من يسعد وسيشقى فيها من يشقى إياكم واليأس إياكم وأن يصيبكم اليأس وأن يقع في قلوبكم أن ما يقع اليوم هو شر للإسلام بل والله هو الخير.

هذه الأُمَّة مرحومة لا يعرف خيرها في أولها من آخرها.

هذا ما أردت أن أقوله لكم، وهذا كلامٌ طويل يحتاج إلى شرح وأعتقد لمن يسأل الشرح أن الزمن الآتي سيشرح ما قلته لكم.

فكونوا في عدوة أهل الحق، وكونوا مع رجال الصدق، وكونوا مع رجال الله.

ولن ينعم الناس بعد اليوم بدنيا بل سيكون النعيم لأهل الدين وأهل الحق وأهل الهدى ... وشكراً لكم.

دعوى الإجماع في الخروج على الحاكم الجائر

السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فضيلة الشيخ أبو قَتادة حفظكم الله، ماهو قول الجمهور في مسألة انعقاد الإجماع بعد خلاف مستقر في العصر السابق مثل مسألة الخروج على الحاكم الجائر؟

الشيخ أبو قَتادة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هذا سؤال لا يتصور وجوده، والمثال الذي ذكرته غير صحيح، أخي الحبيب؛ لكن لو وقع فآل إجماع يجب المصير اليه، ولكن لا أعلم مسألة اختلفَ فيها الناس ثم أجمع الناس بعد انصرام عصر الاختلاف على قولٍ واحد. ومسألة الخروج لم يقع فيها الإجماع في وقت ولا في وقتنا؛ راجع الفصل لابن حزم.

وفقنا الله وإياكم.

دلالة استخدام وصف "كلاب أهل النار" عوضاً عن وصف "الخوارج"

السائل: شيخنا العلامة أبا قَتادة حفظك الله ورعاك وعلى الحق سدد خطاك.

شيخنا هناك أمرٌ قد حيّرني، فقد لاحظت أنك تستخدم لفظ «كلاب أهل النار» لوصف تنظيم الدولة، ولم تستخدم ولا لمرة واحدة لفظ «خوارج»؛ هل هذا مقصود أو «كلاب أهل النار» يعني «خوارج» لزوماً.

الشيخ أبو قَتادة: أنا أتجنب لفظ الخوارج مع أنهم أسوأ لأسباب نفسية فقط، فهم لا يعتقدون كفر صاحب المعصية مثلاً، فأقول – وأرجو أن يُنقَل كلامي هذا بين الإخوان –:

إن الانتساب للمذهب البدعي لا يكون بالشعار ولا باللفظ العام، فمثلاً أنت تقول عن شيخٍ ما أنه مُرجئ مع أنه يقول إن الإيمان قولٌ وعمل، ولكن لو دققت في قوله تجد أن العمل عنده شرط كمال لا شرط صحّة، فأنت تحكم عليه بهذا التفصيل أنه مُرجئ. وكذلك حين تأتي للأشعري وتقول أنه مبتدع في مذهبه في القرآن الكريم مع أنه يقول إن القرآن كلام الله تعالى. والسبب أنه يفسر هذا القول تفسيراً بدعياً وهو أن الكلام معناه هو المعنى النفسي القديم القائم في الذات؛ فهذا تفسيرٌ بدعي، فدلَّ هذا عند أهل العلم أن الطائفة لا يُحكَم عليها باللفظ العام ولكن بما تُفَصّل وتتبنّى من تصورات، الآن لو طبقنا هذا على الدولة المزعومة الضالة لما وجدنا لهم اختياراً عاماً يناقض أهل السُنّة وإن كان بعض ضُلالهم كأبي معاذ التونسي الخبيث يقول: "إن الإمامة من أصول الدين"، فهذا قول الروافض كما تعلمون، لكن عامة شعاراتهم الكلية العامة هي شعارات أهل السُنّة ولا يستطيعون غير ذلك أبداً. ومن الذي يستطيع القول اليوم أنه على دين ذي الخويصرة أو نافع ابن الأزرق أو على دين خارجيٍّ مشهور؟

ولكن علينا أن ندقق في التصور بما يفعلون وكيف يطبقون الشعار العام على الواقع، فمثلاً لو قال قائل: "أنا أقول بقول أهل العلم في قتل المبتدع الذي لا يُرَدُّ فساده إلا بالقتل." وهذا وقَع ولا أضرب أمثالاً من الخيال. فقد قَتَلَ ضُلال الجزائريين من الجماعة المسلحة لما غلبوا عليها أقواماً بسبب تركهم لبس العمامة، فهل هذا سُنّي أم ضال مبتدع أسوأ من الخوارج؟ الجواب معلوم.

الآن هذا التنظيم الضال المبتدع، انظروا إلى تكفيرهم للطوائف، أهم على قواعد أهل السُنّة أم الغلو؟ انظروا إلى قتالهم للمخالف على أنه مرتد، أهوَ على طريقةٍ مَهديّة أم خبيثة؟ أَنزلوا فروع أفعالهم على القواعد تجدون الجواب. ولذلك أنا تجنبت لفظ الخارجية لأني أعلم الجهل في الناس فإن قلت هذا ابتداءاً جاءني أحدهم ليعرض لي أصول الخوارج على اختيارات الجماعة الكلية العامة دون النظر لتفصيلاتها، ووالله إني جاءني أحدهم ليقول "طبقت شروط الإمامة على البغدادي فوجدتها فيه." هذا يقال تفكير ذري ساذج ليس من العلم في شيء. يعني لو أن رجلا قطعت أجزاؤه ثم ركبتها على طريقة أخرى غير ما نعرف؛ إذ وضعت الرِجل مكان الرأس والرأس مكان الرِجل وهكذا، فهل يصح لأحد أن يقول هذا إنسان؟ هذا ما يفعلونه تماماً دون النظر إلى التركيب الكلي ولا إلى تفصيل الأجزاء وعلاقتها مع غيرها، وللأسف وأقولها من كل قلبي مع الألم إن الأُمَّة لم تفقد العلم فقط بل فقدت العقل، وكانوا يقولون عن الدولة الأموية ليس فيها عقل الجاهلية ولا هديُّ الإسلام.

نعم نحن في هذه الفتنة تبيّن أن التيار الجهادي بسبب تسلط الجهلة فَقَدَ العقل لا العلم فقط في كثيرٍ من أجزائه.

والله إن القليل من العقل يمنع الناس من هذه الأفعال وهذه الدعاوى العجيبة، وأنا ارجو من اخواني وأقبل رؤوسهم أن يقرؤوا ما كتبته في تفسير مسجد الضرار في صبغة الله الصمد. إنني قبل سنين حذرت من هذا بالتمام. وسبر أن ما قلته هو ما حدث من المؤسسات البديلة وكيف تصنع.

والسلام عليكم.

مسائلُ في التأويل والعُذر بالجهل

السائل: شيخنا أردت أن أسئلك؛ أريد الاستزادة في موضوع ضبط التأويل، وما هو المعتبر من غير المعتبر؟

الشيخ أبو قَتادة: هذا موضوعٌ جليل أُكلمك عنه؛ لقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هناك من حاول وضع قانونٍ للتأويل فلم يفلَح وقصد بذلك الغزالي فهو صاحب كتاب [قانون التأويل] وأنا أسألك: هل تسأل عن التأويل الذي يتكلم عنه العلماء وأنه صارفٌ للكفر عن المعيّن مع كفر النوع أَم عن التأويل في التفسير أَم عن التأويل في لغة الأصوليين أَم عن التأويل عند المتكلمين؟

السائل: نعم، أحسنَ الله إليكم، فأنا أقصد التأويل المعتبر في الإعذار، وليس التأويل البِدعي الذي يذهب إليه المتكلمون وهو صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى معنى مرجوح الدليل يقترن به ليس هذا تأويلاً بدعياً إذا كانت القرينة معتبرة ولا تخالف مراد الشارع!

الشيخ أبو قَتادة: اعلَم أن الفقيه قد يخطئه لأسباب تعرفها وذكرها ابن حزم ونقلها ابن تيمية في كتابه الخاص بهذا الأمر وهو [رفع الملام] وقد يُخطئ في مسائل العلم التصوري كذلك وهو في هذا يريد الحق ويسلك مسالكه - أي الذهاب للأدلة المعتبرة - فمن فعل ذلك ويتقصّى إصابة الحق وعلم أنه أراد الدين والحق، عُذِرَ عند أهل العلم. والآن ما هي المساحة بين هذه الشروط وبين المخالف لها حتى لا يعذر هذه مساحة تختلف فيها الأنظار لأنها اجتهاد، فقد يعذر أحدهم ولا يعذر الآخر لأنها حالةٌ نسبية، هذا هو القانون برمته ولذلك على المفتي والحاكم أن يكون بصيراً بالرجل المحكوم عليه لو أمكن وضع ضابط لحدود هذه المساحة.

السائل: أحسنَ الله إليكم، ولكن كل مجتهد يريد الحق يُعذر بتأويل؟

الشيخ أبو قَتادة: نعم كل مجتهد أراد الحق والدين عُذِر إلا أن ينقض أصل الدين.

السائل: أتانا رجلٌ وعَرَضَ عليه أحد تجار المشركين أن يبني له وللمسلمين في منطقته مسجد ولكن بشرط، وهو أن يسجد المسلم للصنم، فتأوّل هذا المسلم في سجوده للصنم تحصيلَ منفعة أكبر وهو بناء المسجد للمسلمين، فهل تأويله مقبول؟

الشيخ أبو قَتادة: أولاً، أنت تعرف أن السجود بصفته فعلاً له عدة دلالات منها الاحترام والتحقير كما كان في الأُمم السابقة فهذا واحد[1]، لكن لما كان هذا الفعل في طلب هذا التاجر يعني الشرك والعبادة للصنم كان له دلالةٌ واحدة وهو الكفر، والفقيه يعلم أن الشرك لا يكون إلا بالإكراه وها أنت تتحدث عن فقيه لا جاهل، غزاني على وكه الفقيه وهو يسجد للصنم من أجل مصلحة بناء مسجد، وتنبه أن أمر السجود عند الناس اليوم لا يعني إلا العبادة.

السائل: نعم، هو جزماً يعلم أن الفعل كُفر، ونجزم أيضاً أنه يسعى لتحقيق المصلحة للمسلمين، فتأوّل بهذا الفعل ليحقق تلك المصلحة.

الشيخ أبو قَتادة: دلني على وجه الفقيه وهو يسجد للصنم، هذا لا يفعله فقيه والسبب عدم خفاء معنى السجود اليوم، لكن لو قلت لي يفعله عامي لربما صُرِفَ عنه الكفر لأن السجود الذي هو العبادة لا يكون إلا بتعظيم المسجود له تعظيم الإله.

السائل: يعني بذلك أن تأويله غير مقبول وليس سائغاً؟

الشيخ أبو قَتادة: للفقيه نعم والجاهل ربما ويُنظر إلى أمره.

---

[1] قال الشيخ أبو محمد المقدسي في نفس المجلس جوابًا على سؤال (هل مطلق السجود لغير الله كفر؟ فسجود اخوة يوسف عليه السلام لا يمكن ان يكون كفرا، اذ اصول دعوة الانبياء واحدة، (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)،ولا يمكن ان يكون الشي كفرا في شريعة احد الانبياء، ولا يكون كفرا في شريعة غيرها): **" هذا السؤال فصّل فيه العلماء، الأصل غير السجود لِمَا يُعبَد من دون الله كالأصنام والقبور والأضرحة أنه كذلك، لكن إن فُعِلَ لبشر وفي عُرفهم يُسَمّى الركوع سجوداً وكان من قبيل التحية أو التعظيم الذي لا يُضبَط حَدُّه إلا بمعرفة قصد الفاعل فلا بُدَّ من التفصيل، ويذكر القائلون بهذا التفصيل هنا سجود إخوة يوسف وسجود معاذ للنبي حين رجع من الشام والحديث ضعيف. ولكن الذي يقولونه أنه خَفَّضَ رأسه وأقرب من انحناء التحية، يعني ربما كالركوع وكلاهما يُستَعمَل كالآخر كما في القرآن ذلك كما {وَخَرَّ رَاكِعًا}، وإذا دخل الاحتمال بطل الجزم والاستدلال على أحدهما، وهذا يعزز أن سجود إخوة يوسف ليس سجوداً حقيقياً بل انحناءٌ أقرب إلى الركوع وهو ينسجم ما اعترضت عليه من أن دين الانبياء واحد أي التوحيد ... وهناك كلامٌ غير هذا والمسألة مُفصّلةٌ في بعض الكتب التي تتكلم في عدم الإعذار لمن نقض التوحيد على هذا الوجه، ونعم هذا قول وهذا ما عنيت أن فيه تفصيل ولكن ذكرت لك أن بعضهم لا يقبل بذلك فيحمل ما ليس بكفر على الانحناء والسجود وإلا فالتفصيل مذكور."**

السائل: ولكننا عذرنا الجاهل لتأويله أم جهله؟

الشيخ أبو قَتادة: أنت تعلم أن التأويل فرع الجهل، لأن العمل لا يُنسب إلى صاحبه إلا بالإرادة، والإرادة تتكون بالباعث والعلم، والباعث يضاده الإكراه والخطأ، والعلم يضاده الجهل والتأويل، فهذه موانع التكفير يا سيدي.

السائل: رفع الله قدركم؛ وهل هذا خاص في أصل الدين أَم أنه عام في جميع المكفرات؟

الشيخ أبو قَتادة: الجهل بأصل الدين كفر أي بـ «لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله»، ومن تأوّل إبطالها كافر، كالقاديانيين مثلاً، فهؤلاء نقضوا الرسالة، أمّا ما سوى ذلك فينظر للفاعل والقائل وهو باب اجتهادي. تَذَكَّر هذه المسألة: وهي أن إجراء الأحكام الشرعية لا علاقة لها بأصل الدين. هذه قاعدةٌ ذهبية تُعينك في إقامة العدل والإعذار الشرعي. فعلاً قاعدة ذهبية وتستحق شرحاً لأنها تنسف قول كفر العاذر بالجهل.

السائل: قلتم: "مسألة إجراء الأحكام الشرعية لا علاقة لها بأصل الدين" لو توضح لنا هذه النقطة يا شيخنا.

الشيخ أبو قَتادة: أخي الحبيب، أنت تعلم أن هناك قواعد شرعية وأحكام شرعية، وهذه تنزل على الحوادث والأعيان، فتنزيلها هذا يُسمّى «إجراء الحُكم الشرعي»، فهذا التنزيل لا يجوز أن يُعَلَّق على فاعله حُكمٌ يَرفع عنه حُكم الإسلام إن أخطأه، فمثلاً اختلف الناس في ابن عربي مع إقرارهم بأن مُنكر الرب الذي يفترق عن الخلق كافر، فهم يختلفون فيه أَوَقَعَ في هذا الإنكار أَم لا، فلا يجوز لطرف أن يُكَفِّر الآخر لهذا الإجراء والاختلاف فيه، وكذلك لا يكفر المرء بسبب اختيار حكم شرعي دون غيره ولو أخطأ على القاعدة المتقدمة.

السائل: لأجل الاختلاف في الحكم الشرعي في ابن العربي؟

الشيخ أبو قَتادة: نعم، وكذلك في الحلاج، والناس اختلفوا في المختار الثقفي قبلهم، إذ كانت ابنة عبد الله بن عُمَر تحته وكانت تُحسن الظن فيه مع أنه ادعى النبوة وهي تُنكر هذا، وكان أحد الصحابة يحمل لواءه وهو الطفيل.

السائل: أختم يا شيخنا بسؤال: كل قاصد لتحقيق مقاصد الشريعة يكون تأويله سائغاً فيما يقوم به إن لم يخالف أصل الدين؟

الشيخ أبو قَتادة: هذه قاعدةٌ جيدة مع تذكرك أن أصل الدين هذا قد اختلف الناس اليوم فيه، فبعضهم أدخل فيه ما ليس منه ليوسع دائرة التكفير.

السائل: وما هو ضابطه؟

الشيخ أبو قَتادة: أصل الدين هو الإقرار بحق الله في العبادة دون سواه وبالرسالة لحبيبه صلى الله عليه وسلم، حتى هذه تحتاج إلى ضبط وهو مُسَمّى «العبادة» أي النُسُك، لا معناها العام، لأن العبادة في معناها العام ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أمّا العبادة هنا فهي الأعمال النُسُكية كالعبادة والذبح والدعاء والاستغاثة.

السائل: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ هذا التعريف المقصود؟

الشيخ أبو قَتادة: نعم، إذ يدخل في هذا ذكر الله عند الخلاء والأكل المباح وغير ذلك.

السائل: بناءً على ذلك؛ لو تعوّذ رجلٌ عند الخلاء بأحد الشياطين، فهذا قد أَخَلَّ بأصل الدين، صحيح؟

الشيخ أبو قَتادة: الاستعاذة استغاثة، كمن تعوّذ بالشيطان عند دخوله الوديان كما كان أهل الشرك يفعلون.

هل الإنتصار المادي دلالة على الحق؟

السائل: السلام عليكم ...

شيخنا ما رأيكم بمن يجعل معيار الحق والباطل في القوى المادية الملموسة والانتصارات العسكرية وما ردكم على من يستدل بها لإثبات جهةٍ ما أنها على الحق؟

الشيخ أبو قَتادة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...

الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ ويقول: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهذا بَيّن أن الحق يملك قوته في ذاته لأنه الحق ولا يحتاج إلى أمرٍ خارج عنه بخلاف الباطل، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ فَسَمّى ما يوحَى من الشياطين ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾، والزخرف أمرٌ زائد تميل إليه النفس كما قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ۝ وَزُخْرُفًا﴾، ثم أنتم تعلمون صمود علمائنا أمام الغزو الفِكري المصاحب للنجاح العسكري والتقني للغرب فلو فهم هؤلاء ما فهمه الذين كفروا وبدلوا لَذَهَبَ الإسلام كله، ثم إنكم تعلمون كذلك مبدأ التداول القدري على قاعدة "يوم نساء ويوم نسر" فلو ترك المرء دينه يوم السوء لكان شراً عليه ولفاته يوم السرور.

أمّا انتصار أهل البدع فقد ذكرت لكم سابقاً أن بلاد المسلمين في وقتٍ من الأوقات خضع أغلبها للروافض والإسماعيليين ولم تهن قناة أهل العلم لذلك بل صبروا وصابروا حتى كان الخير العظيم؛ الله سبحانه وتعالى يبتلي عبيده على قاعدة التمحيص ثم ينقلب المؤمن إلى خيرٍ عظيم، والحمد لله رب العالمين.

الغُلاة والنقد الذاتي

السائل: شيخنا، الناس الآن يفتنون في الغلاة في بلاد الشام...

الشيخ أبو قَتادة: أذكر لك أمراً مهماً ... هل تذكر ماذا كان قول الحبيب ﷺ وهو سائرٌ إلى تبوك لما يذكر له عن تخلف أحد، ماذا كان يقول؟ أجب سؤالي تجد الجواب على تخوفك. كان يقول ﷺ: إن يرد الله به خيراً يأتِ به.

الفِتن لا بُدَّ أن تأخذ مداها إلى النهاية، لا تنقطع في المنتصف، وكلما ظننت أنها ضعفت تزيد حتى تذهب مرةً واحدة. هذه الفتنة امتحنت علم الناس وقلوبهم.

وها أنا أذكر لك شيئاً:

وذلك أني حدثت نفسي كثيراً، ووالله كأني أخاطب ربَّ العزة قائلاً: مولاي وعزّتك إن الناس أضعفُ من هذه الفتن... وعلم الناس الذي أعلمه لا يوازي هذا البلاء. وتَفَكّرت في هذا، فعلمت بعد حين أن هذا البلاء كان على قَدَر الدعوى.

نعم، كان فينا دعوى العلم والفهم، مع الغرور والترفع على الناس والمخالفين، وصار مجرد أن يكتب أحدهم كلمتين جميلتين تلحقه بالعلماء، وسَبَبنا العلماء واتهمناهم في كل الخطايا. وبمجرد أن يقرأ المرء كلمتين ويعرف خطأ المخالفين في مسألة الحكم والإيمان صار عندنا هو ابن تيمية العصر. ولقد رأيت هؤلاء حقاً!

والآن جاءت الفتن، مَحَصّت العلم والقلب والألفاظ.
حقًا كان التيار الجهادي –إن صحَّ التعبير– يحتاج لهذه الفتنة حتى ينظف من دخنه.
انظروا إلى سبابهم علينا؛ والله عَجِزَ أولادُ المواخير أن يقولوها لنا، كأنهم في أسواق الرذيلة، يسبون سب الفسقة، وانظروا إلى جهلهم في تركيب ردودهم. لقد ارتدّ السيف الذي مارسه بعضنا ضد الخصوم إلى نحورنا. الحمد لله على كل حال.

التيار الجهادي الآن يُنقي نفسه، وخراج القيح يتجمّع.
والله، لقد أحصى الإخوة من خرج إليهم فلم يجدوا إلا النطيحة والمتردية، إلا القليل، القليل ممن كانوا على خير، والله الهادي ... وقال لي أحد الإخوة لم أحزن إلا على رجلٍ ثم رأيته قد تركهم.

سائل: سترون من يسارع إلى تولي القيادة العلمية عندهم من أجل هوى التقدم بسبب ظنه أن المنصب عندهم قد فرغ فلا شيوخ يناصرونهم.

الشيخ أبو قَتادة: صدقت يا أخي.
المهم، لقد ذقنا الألم الذي أذقناه للمخالفين، ولم نكن ننصح ولا نربي، بسبب أن المرء على المنهج، بئست هذه الكلمة وما أحدثت فينا من سوء.

الشيخ أبو قَتادة: أيها الأخ، والله لما جئت إلى الأردن وسُجنت مع بعضهم، كان معنا رجلٌ هو الوحيد الذي انقلب للغلاة. والله ثم والله ثم والله لا أذكر عالماً ذُكِرَ عنده إلا سَبَّ عليه وكَفَّره!!
إذا بكى الشيخ في الموعظة التي يلقيها قال: "هذا بكاءٌ من خشية الطاغوت." !!!

سائل: لكن قولكم شيخنا: "بأننا ذقنا ما أذقناه للمخالفين."، هل في نظركم شيخنا أن هذا الأمر كان هو الغالب على التيار الجهادي أم أنه أمرٌ شاذ لا يكاد يخلو منه أي تجمُّع؟

الشيخ أبو قَتادة: أخي، هناك من مشايخنا من هو الخُلُق كله ولو حلف لك حالف انه لا يوجد على ظهر الارض بخلق الحكيم فصدقه ولو جالستَ الشيخ عطية الله لرأيت الخير والخلق في الرجل، وكذلك أبو الليث، وشيخنا أبو مُحَمَّد – المقدسي – مثال اللفظ المستقيم.

أنا أتكلم لك عن هؤلاء الذي دخلوا فجأةً وصاروا في التجمعات والانترنت وهم في داخلنا يتكلمون وتطلق عليهم الألفاظ الجليلة لمجرد أنه أحسن مسألة الايمان ... هذا إن أحسنها!
أنا أقصُّ عليك ما حدث لي مع أحد أنصار جماعة الدولة لما دخلت السجن في الأردن.

جاء إخوة أرادوا الذهاب لسورية وقُبِضَ عليهم في الطريق، وُضعوا على الطابق الثاني فوقنا، وكان وقت التسمية لهم، نصعد على الأَسرّة حتى نحادثهم.

ففي أول لقاءٍ لي معهم صعدت وسَلَّمت عليهم وجعلت أتعرف على أسمائهم كالعادة التي تعرفونها، فلما انتهوا من ذكر أسمائهم قال أحدهم لي – مع أنه بدأ السلام عليّ: أهلاً بالشيخ –:

من الأخ لو سمحت حتى نتعرف عليك؟

قلت: أنا عمر محمود.

قال: أنا أريد أن أناظرك.

قلت: في ماذا؟

قال: في كفر أعيان الطائفة الممتنعة.

–وأنا هذه الأمور فرغت منها–. قلت له: هل هذه المسألة قلدت فيها أم أنك صاحب قولٍ واجتهادٍ فيها؟

قال: أنا مجتهد بالمسألة.

والله ثم والله لما بدأت بعد ذلك تدريسهم من خلال الشباك مصطلح الحديث أنه لا يعرف معنى الحديث والصحيح ولا تعريفه ولا شروطه!!

المهم بدأت الكلام معه فإذا تكلم استمعت له وإن تكلمت جعل يضحك ويحرك يديه استهزاءً!!

فقلت له: ما الذي يضحكك، أتراني أحتجُّ عليك بالتوراة أَم بالإنجيل؟

قال: أنت تذكر لي الشافعي وهذا ليس حجة!

قلت: أنا لم أحتج به ولكن أنا آخذ تفسيره لما يُحتج به.

والله لم يفهم ما قلته!

المهم شددت عليه ليسكت فأخذ الإخوة يسكتونه.

ولم ينتهي النقاش ولكن انقطع.

جاءتني الأخبار من الخارج أن الرجل ناقشني وأفحمني! يا لله! ماذا أقول؟! ما من أحد من الإخوة في الخارج حين يقابل ابني إلا ويقول له: هل صحيح أن فلاناً أفحمَ أباك؟
يقول لي ابني: إنهم يسألون مستهزئين بالرجل لعلمهم به وأنه صاحب دعوى عريضة.

يعني أنا الذي ابتليت به.

هؤلاء هم أخي من أردت ... لا شيوخنا ولا علماءنا.

والله إن بعض من تكلم ممن سُميَّ بشيخ في الانترنت لو عُرِضَ عليّ وأنا قاضٍ لاستتبته مما قال.

الآن نحن حصدنا ما زرعه هؤلاء!!

أبو محمد – المقدسي – الجبل الشامخ الذي بَهَرَ محققين في صبره ودينه. جَلَسَ في غرفةٍ انفرادية في المخابرات ثلاث سنين، كان الأخ إن جلس فيها شهراً إنهار.

يخرج هؤلاء اليوم ليقولوا عنه الشرَّ والكذب، يتهمونه في دينه وأنه باعه، يتهمونه في علمه وهو الذي علمهم أصول هذا الطريق.
اجمعوا ألفاظهم فيه تعرفوا أي نوعٍ من الخَلق هؤلاء!

اجمعوا ما يقولونه في الحكيم – الظواهري –؛ أشعر بمرارةٍ وألم، حسبنا الله ونعم الوكيل، وهو الرجل الذي يستحي المرء أن يذكره باسمه المجرد، رجلٌ قَدَّمَ ابنه وزوجته وأهله، فارقَ الأهل والأوطان وصَبر صبر الجبال في ظروفٍ لا يعلمها إلا الله، تكلم معهم كلام الشفيق وهم يسبونه.

ثم يأتي العدناني الخبيث الجاهل والذي مبلغ علمه أنه قرأ الأصول الثلاثة – كما ذكر من حوله – ليمتحن عقيدته!

الحكيم بعد كل هذا الطريق يُمتَحَن في قوله بالروافض وبما يقول في الإخوان المسلمين وهو صاحب كتاب [الحصاد المر] والذي كتبه لما كان هؤلاء يأكلون مخاطهم كما يقول العوام ... خلوها على الله!!

أحد إخوانكم يُشَلُّ في سبيل الله ويُعيّر بعجزه والله.

البغدادي خرج من الظلام ككل المجرمين في تاريخ أُمَّتنا صار خليفة المسلمين، وعُمَر مهدي يُكَفّر سعد الحنيطي وكلاهما في ظل إمامة الغامض. هذه هي أصناف رجالهم. ثم يأتيني أحدهم ليستنكر عليّ أني أقول إنهم فقاعة. أنا أقول: بيني وبينكم الأيام؛ وسترون ... هذه كلابٌ مسعورة!

سائل: والغريب يا شيخ أن جميع هؤلاء لا حس لهم ولا خبر وكأن قيادتهم أجبرتهم على السكوت كما هو الحال العام عندهم، الموروث عن حزب البعث وهو اقتُل القتيل واسكت وافعل فعلتك ولا تبرر.

الشيخ أبو قَتادة: صدقت أخي، عصابة مافياوية بامتياز.

تعرفون، أنا أُشبّه حالهم بالبيت الأسود تُدار أموره في الداخل والذين في الخارج لا يرون إلا الأوامر والأسماء الوهمية ... تصوروا لو حدث ما حدث في الداخل هذه الجموع الجاهلة التي تتبعهم ما الذي يدريها كيف ومن وأين ... والله ثم والله أني أعتقد لو لم أقل فيهم ما قلت لغضب الله عليّ؛ هذا ديننا وهذا بيتنا الذي نستكن فيه من عذاب الله لن نعطيهم إياه إلا على رقابنا وأشلائنا، والله دونه الموت.

والله إن ما أقوله هو قول عامة المشايخ ولكن لهم مصالح في عدم القول وهم على حق، أمّا أنا فوالله سأقول ما أعتقد وليس لي من مصلحة إلا نُصرة الجهاد وأهله.

يتهموني أني بعت ديني وأنا أقول لهم: يا أخباث؛ والله ما بقي في العمر بقية حتى أساوم عليها. ما تصورت أن أحداً ممن انتسب لهذا الطريق يرمي إخوانه بهذه التهم، لكن هكذا الدنيا تفاجئك بالغرائب.

أجوبة على سؤالات جيش المهاجرين والأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم..

من جيش المهاجرين والأنصار إلى فضيلة شيخنا أبو قَتادة الفلسطيني، وفضيلة شيخنا أبو مُحَمَّدٍ المقدسي...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد...

فإنّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو حسبنا ونِعمَ الوكيل، ونُعلمكم علمائنا الكرام بما يجري لأبنائكم في أرض الشام من مستجدات...

أولها: لا يَخفى عليكم تقدم العدو النصيري الكافر في ريف حلب الشمالي – حندرات وما حولها – وهي مواقعنا التي ليس لنا غيرها، وتتمثّل خطورة هذا التقدم الأخير فيما يلي:

1. أن هدف النظام هو فتح طريق إلى قريتي نُبُّل والزهراء الرافضيتين وبالتالي الوصول إلى المناطق التي يسيطر عليها حزب الـ PKK الواصلة إلى حدود تركيا وبالتالي يُقَسّمون شمال سورية إلى قسمين.
2. تقدم النظام سيؤدي إلى خنق مدينة حلب بحصار مطبق.
3. السيطرة على حوالي نصف الريف الشمالي لحلب.

ثانيها: أن الصراع في أرض الشام بات صراعاً مشاريعياً بل ومن العيار الثقيل، مع كل هذا فإن المشاريع الموجودة يمكن تقسيمها إلى:

1. مشروع جماعة الدولة الإسلامية بعجره وبجره.
2. مشروع جَبهَة النُّصرة المتِمَثّل في «دار القضاء» والتي مع الأسف بتنا نرى انحدارها المتِمَثّل في:
    1. سوء الإدارة.
    2. روح التحزب فيها والتي كانت سبباً في إقالة الشيخ سعد الحنيطي عنها.
    3. عدم إخضاع الجَبهَة لأمنييها للمحكمة.
    4. عدم وضوح المشروع؛ فكثيرٌ من بنوده وجزئياته ليست واضحةً عند أصحابه فضلاً عن غيرهم. فانحدرت إلى ما لا يَسُر والله المستعان.

3. مشروع جَبهَة أنصار الدين، وهو مشروعٌ لا وجودَ له حتى الآن، وذلك لأسباب:

1. تأخر الإنشاء.
2. انشغال كل فصيل برد العدو بمعارك استنزافية ضخمة.
3. التباعد الجغرافي بين أعضاء تحالف أنصار الدين.
4. عَدَم الاندماج.

4. المشاريع الأخرى من المتردية والنطيحة كالزنكي وحزم وجمال معروف وغيرهم، التي تخطط لإقامة مشاريعها، و تستفيد الآن من قتالنا للنظام؛ فنحن نصد النظام وهم يبنون مشاريعهم من خلفنا.

فالمشاريع الإسلامية النقية إمّا معدومة أو ضعيفة وهذا يؤثر تأثيراً سلبيا عظيماً على الإخوة المجاهدين إذ يرون دماءهم تُراق ويجني الثمرة غيرهم، حتى وصل الحال ببعضهم إمّا إلى ترك الجهاد والرجوع، أو الالتحاق بالدولة الإسلامية؛ كونها مشروعاً قوياً قائماً على سوقه ... وهذا ما حصلَ من الشرعي العام لجيش المهاجرين والأنصار أخينا أبي عزام النجدي الذي لحق بهم أخيراً.

ثالثها: أننا الآن في مواقعنا نخوض مع العدو النصيري حربَ استنزاف لا قِبلَ لنا بها إلا أن يشاء الله وما حولنا من الكتائب إلا ما رحم الله وقليل ما هم، كُلٌّ منهم حريصٌ على مشروعه الذي أَمَّنَه في خطوطٍ خلفية كإدلب وحماة أو ربما تركيا أو حتى المصالحة مع النظام والله المستعان، فنحن الآن بين نارين إمّا أن نستمر في مواجهة هذا العدو حتى يأتي الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، وإمّا أن ننسحب إلى مناطق أخرى نعيد فيها ترتيب صفوفنا ونبدأ منها طرح مشروعنا، لكنا نخاف إن نحن فعلنا دخول العدو على المسلمين وانتهاك حرماتهم وأعراضهم...

فنرجوا منكم أن تُشيروا علينا برأيكم، وتُرشدونا لأهدى الطرق كي نسلكها، عَلَّ الله أن يجعل في ذلك سبباً في عزّ هذه الأُمَّة ونصرٌ لها.

فكان جواب الشيخين الفاضلين كما يلي:[2]

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...

أخي الحبيب، اعلَم أن هذا الجهاد هو أعظم الجهاد الذي وقع في هذا العصر، بل لو قلت لك أن كُلَّ جهادٍ سابق كان تهيئةً لهذا الجهاد لصدقت، ومن لم يفهم هذا فإنه ضعيف النظر في حوادث الزمان والفتن.

ووالله ثم والله إن هذا الجهاد لن يتوقف حتى يدخل أهله بيت المقدس بإذن الله تعالى، ولم أكن يوماً متفائلاً بجهاد كما أنا متفائلٌ اليوم مع ما أعلم وأسمع من الفتن والانتكاسات لأن الجهاد في هذه اللحظة له ما بعده وحين يكون الأمر جللاً تكون قوته وناره بما يعادله.

فيا أيها الإخوان والأحبّة الصبر، الصبر واليقين، اليقين...

وما قلتَه من الأمور فإني مُطّلعٌ على أكثرها إن لم يكن كلها، والسبب هو تقصير طلبة العلم في النفرة لأرض الجهاد ولكثرة الشباب الذين خرجوا قريباً من الجاهلية والفساد فكان معهم الشر كما تعلم. ثم إن هذا الجهاد كان بعد مقتل الكبار من الأوائل في الأسواق الإيمانية السابقة فلم يبقَ إلا القليل منهم وهم إمّا في السجون أو الأماكن النائية التي تمنع الوصول إليكم ولو وجد هؤلاء لاستطاعوا قيادة السفينة بحكمة، وأنت تستطيع أن ترى أن عامّة القادة والشرعيين هم مبتدؤون لا خبرة لهم والكثير منهم نفر لإمارةٍ يستعجلها أو لشيءٍ لا يعرف عاقبته وقد كَثُرَ هؤلاء حتى طمّ بهم الوادي كما يقولون.

سيُقتل الكثير ويذهبون لربهم وسيبقى من يفتح الله على يديه وكل على خير؛ والسعيد من أتته منيته وهو صابر محتسب لا ينظر الا بلوغ الجنان ... فيا أيها الأخ الحبيب والإخوة الأحبّة إياكم ثم إياكم أن تتركوا مكاناً تعلمون أن لو تركتموه كان خذلاناً لأهل الإسلام أو سبباً في قتل مسلم أو انتهاك عِرض مسلمة، بل اصبروا وشدوا على أسنانكم حتى لو جاءكم الموت جميعاً، فمآل مشروع الحق هو الشهادة والدفاع عن أعراض المسلمين وأرواحهم ودعكَ من الكلمات الكبيرة الجوفاء ككلمة المشروع وغيرها، فما أنتم إلا طليعةٌ خير ينظر الله إلى صدقكم وحسن نواياكم، وإخلاصكم في رد الصائل فإن علم ذلك منكم أجابكم وهو الرحيم بنا وبكم.

---

[2] أجاب عليه الشيخ أبي قتادة وأقرهُ الشيخ أبي محمد المقدسي.

ليذهب كُلٌّ إلى ما في قلبه واذهبوا إلى ما في قلوبكم من حُبِّ الشهادة ولقاء الله، فمن أجل هذا نفرتم وتركتم بلادكم ورغد العيش.

هذا ما أقدر أن أقوله لكم والعين تدمع أني مع الخوالف فاللهم غفرانك. وكونوا على دوام الاتصال بنا والسلام عليكم.

هل الجهاد في زماننا فرض عين؟

السائل: شيخنا، هناكَ مسألةٌ حيرتني كثيراً، وهي: متى يكون الجهاد فرض عين ومتى يكون فرض كفاية؛ فلو كان فرض عين الآن متى تكون الكفاية؛ ولو كان فرض كفاية؛ فهل أهل الشام واليمن والعراق وغيرهم صدوا عدوهم واكتفوا بماعندهم وبالمهاجرين الذين عندهم؟

الشيخ أبو قَتادة: مما يجب مراعاته من قِبَل الفقيه والمفتي؛ معرفة الحال وقدر الفتوى وكيفية كيفيتها وتلقي الناس لها، وقد يطلق المفتي الفتوى وهو يعلم مقدار التزام الناس بها، ومن الجهالة معرفة الفتوى وعدم معرفة قدرها، وأنا أقول دائماً إن الشرع لا يَصنع الفقيه والعالِم فقط بل لا بُدَّ من معرفة أقدار الفعل الشرعي والحدث الإيماني، ولذلك أنا أقول إن الجهاد اليوم فرض عين، وخاصةً في البلاد التي فُتح فيها باب الجهاد، كسورية واليمن وليبيا والعراق، وغيرها كأفغانستان.

من يُطلق هذه الفتوى عليه أن يعرف قدرها؛ أي كينونتها من جهة الوقوع، كم سيستجيب لها؟

أنت تعلم أن الكفاية لن تكون، لقد أطلق الألباني وبعض أهل العلم وجوب الجهاد أيام الروس في أفغانستان، كم استجاب؟

وبالتالي لا يجوز لأحد إبطال الفتوى بحجة أن الناس لو طالعوها أوقعَت فساداً كبيراً حيث تُفَرّغ الساحات الأخرى، أو يقول لو استجاب الناس لما اتسعت أرض الجهاد لكل المسلمين لأن الواقع أن الشيخ عبد الله عزّام كان يدفع للأطباء أكثر من ثلاثة أضعاف أُجرة الطبيب في بلده ولم يتم الكفاية ... نحن نقول أن الجهاد واجبٌ عيني على كل أَحَد، ومع ذلك يَفِرُّ من الزحف اليوم العشرات ويعودون إلى بلادهم، فهل يجوز بعد ذلك أن نتناقش نقاشاً عبثياً في صحة فتوى الوجوب العيني أَم لا؟

مسائل حول الإرجاء

السائل: شيخنا المفضال، الخلاف في كفر تارك الصلاة خلافٌ فقهي أَم عَقَدي، وهل الذي لايرى كُفره ويُفَصّل في الباب على مذهب الإرجاء، يا شيخنا الحبيب؟

الشيخ أبو قَتادة: أعوذ بالله أن أرى أحداً يقول هو خلافٌ عَقَدي أي يترتب عليه تضليل وتبديل وتكفير، بل هو خلافٌ فقهي، لكن لو أن أحداً قال أنا لا أُكفّر تارك الصلاة لأن العمل عندي لا يصلح البتة للتكفير مهما كان إلا باعتقاد قيلَ له أصلُ اختيارك مبنيٌّ على بدعة.

السائل: شيخنا الكريم، ظاهر تبويب أبي داود في سُننه أنه يرى أن القول بعدم كفر تارك الصلاة من الإرجاء، فإنه قال: [باب رد الإرجاء] ثم أوردَ تحته حديث جابر في كُفر تارك الصلاة ولعله محمولٌ على ما ذكرتم...

الشيخ أبو قَتادة: نعم، لأن بعضهم جعل العمل مطلقاً لا يصلح للتكفير، ثم إنك ترى البخاري يدخل في كتل الإيمان أحاديث الأعمال فيه.

السائل: شيخنا، هل مرجئة الفقهاء والوصف بهذا الوصف يراد به التمييز عن المرجئة الغلاة أو له معنى آخر؟

الشيخ أبو قَتادة: هذا الوصف صار عَلماً على قوم أعملوا التكفير بالحكم مع أهل السُنّة لكن مع ضعفٍ في التأصيل، فهم في فقه التكفير سُنّة بل قد يتشددون لكن أصلهم غير مضبوط.

السائل: يعني شيخنا الخلاف بين مرجئة الفقهاء وأهل السُنّة ليس لفظياً كما قال ابن العز الحنفي؛ فمرجئة الفقهاء بنوا كلامهم على أصول غير منضبطة مثل جعل العمل شرط في الإيمان وليس من الإيمان ذاته؟

الشيخ أبو قَتادة: نعم، والعلماء في تعبيرهم عن الخلاف اللفظي أي الخلاف الذي لا يُنتج أثراً، هذا معناه عندهم أحياناً وليس على ظاهر اللفظ أنه الخلاف الذي تعدد بالتعبير عن واحد.

هل إعلان التوبة شرط لقبولها؟

السائل: يا شيخنا هناك كثير من الجنود في اليمن بمكافحة الإرهاب وغيرها يتركون الجندية لأسباب دنيوية والبعض يزور شهادة وفاة ويستمر في استلام الراتب وكذلك المتقاعدين وبعض الإخوة يقول أنهم مرتدين حتى بعد تركهم للعمل ويستدل بقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾. السؤال: هل يصبحوا مسلمين بمجرد تركهم للعمل عند من يكفرهم بالأعيان؟

الشيخ أبو قَتادة: أخي، هذا السؤال يُلزم غيري، فمن كفرهم بالعين لعلمه بحالهم أو لسببٍ آخر عليه أن يجيب عليه، لأن حيثية حكمه هي من يجبره على نوع الاختيار.

ثانيًا: مَن قال أن سبب كفرهم هو العمل فمن لازم قوله أن من تركه خرج من المكفر، وذلك ككفر تارك الصلاة، فإن عاد للصلاة أسلَم، ولكن من كفرهم للجهل، وإن كان قوله عندي شديد لأن لازم قوله أن هذا الجهل عام في الأُمَّة فيعني تكفير من كان على حالهم، إلا أن مجرد الخروج لا يخرجه من الكفر، ولذلك من كفر بالعين عَلِمَ أن لوازم قوله العجب، ولذلك بدأ كبار إخواننا يعودون عن هذا وبدأوا يستثنوها رجالاً، ولكن القول بالإعذار يجب ضبطه بأنه نسبي وهذا أُنبّه عليه لأن البعض ظَنَّ أنه مُطلق، وقولنا أنه نسبي من جهتين؛ من جهة الناظر ومن جهة الموضوع وهو شخص وجماعة الردّة، فقد يختلف الناس في التقييم وهذا ممكن، وقد تَضيق مساحة الأعذار وقد تتوسّع، ونحن نتكلم عمن علمناه متديناً مقيمٌ للصلاة ويؤدي الزكاة وهو من في سلك الجندية عندهم، أمّا من علمناه يُعادي الدين ويترك الصلاة ويَقرب الكفرة، إلى غير ذلك من القرائن والأدلة لم نبحث فيه إن اقترفَ مكفراً.

الآن لو تأملنا أخباث العرب من الحكام ممن نصر السيسي مثلاً ثم رأيناهم يعادون الدين ويقربون أعداء الله وينصرونهم فهل هؤلاء نبحث لهم عن أعذار إن أتوا بالمكفر الأكبر وهو التشريع على خلاف الشرع، هل نحن نبحث عن نائب عَلماني يرفض تحكيم الشريعة كما نبحث عن نائب مسلم في البرلمان يبذل وسعه للتحكيم الشريعة والعمل فيها، هذا ننساه في البحث والمناظرة، وكان الذي يعذر بالجهل أعمى لا يبحث في القرائن واللوث كما سماه الشافعي، لو اختلفنا في أردوغان يمكن هذا، فواحد يراه يعمل لتطبيق الشريعة وله تأويله فيما يقول – ولست منهم–، وواحدٌ يراه لا عذر له لأنه نقض أصل الدين مثلاً، وهذا محتمل، ولا يجوز نقض أصل دين المخالف لهذا الخلاف.

كان الشيخ عبد الله عزّام يُحسن الظن بضياء الحق، وبعض ممن يسمون بالقطبيين وفيهم غلو ويُقال لهم أهل التوقف، ويُحسن الظن بعبد السلام عارف حاكم العراق لأنه توسّط لإنقاذ سيّد قُطب من الإعدام، ورأيت بعض المشايخ يعذر مندريس الحاكم التركي الذي أعدمه الجيش، حين يقول رجل: والله ما أردت إلا الدين، حينها يُنظر للقرائن، واحد يقول أنا مسلم أكثر من الجماعة الفلانية، ثم هو لا يصلي وتجده يعذب المسلمين ويكيد لهم، فماذا تقول عن دعواه؟

وحاكمٌ آخر لا يترك فرصةً لخدمة الدين إلا اغتنمها وهو قد أتى ضمن ظروف يرى أن تحديها بقوة فيه ضرر والذهاب لخطته لأنه رأى تجربة غيره، والبحث في الأفراد لا ينقض أصل القضية والبعض يطرح اسم الطاغوت ليشنع على القول المخالف، وكأن من أصول الدين تكفير اسم الطاغوت بعينه، بل كأن القرآن نطق به كاسم فرعون وأبي لهب.

حوار حول السياسة والفكر

الشيخ أبو قَتادة: ما قلته في ثياب الخليفة وهو نقلي بالمعنى عن كلام شيخ الإسلام وهو الذي يُسمّى في الفقه السياسي بفلسفة التصوّر السياسي لطبيعة الصلة بين الحاكم والمحكوم، أن أساس وجود الحاكم في الإسلام مبني أن الأُمَّة هي محطة الخطاب التشريعي العام، والحاكم ممثلٌ لها من خلال عقد، أي إن ارتد.

ولم يكن الكثير من الخطاب في الفقه السلطاني عن تصرفات الأُمَّة مع الحاكم إن أَخَلَّ بشروط العقد أو واجباته أو مستحب أتته، وهذا يمكن تصور عدم حضوره عند تعرض الأُمَّة للابتلاء من الخارج، أو انشغال الأُمَّة بخارجها، ولكن حين ضعف الدفق الخارجي لهذه الأُمَّة بدا ظهور هذا الضعف، أي ضعف التصور الفقهي لكيفية التعامل مع السلطان عند عدم قيامه بشروط العقد أو واجباته أي عقد الوكالة كما هو معلوم، ولهذا كان أكثر ما تكلم فيه عند ضعف الدولة العثمانية، كما ذكر أخينا كتاب الكواكبي، وهو نفحةٌ من نفحات الأفغاني كما يعلم المراقبون، وكانت الصورة المقابلة للاستبداد غير واضحة في الأذهان فتمَّ استيراد هذا المقابل من الآخر وهو الغرب، وهنا وقع الناس في جانبين، جانب الغرب الذي يمثّل حقوق المواطنة وجانب الخليفة الذي يمثّل الإسلام، وهذه الحالة لم تكن فقط في السياسة كما يظن البعض بل كانت في كل الجوانب حتى في موضوع تحرير المرأة. إذ الجانب الإسلامي كما ظنه البعض هو تجهيل المرأة مقابل تحرير المرأة عند المستغربين، وأنا اقول لعلنا وقعنا وإلى الآن في مصيدة السب على كل الجهة المقابلة للصورة المنسوبة للإسلام، ولا أكتمكم أني أُعيد الآن قراءتي لمحمد عبده والأفغاني، مع أني أعلم ما يقال عنهم وأحفظه تماماً، لكن من كان يقابلهم لم يكن يمثل صف الإسلام كما نفهمه في الكتاب والسُنّة، ولعلي أجزم أنه لا أحد منكم يذكر لما كنت اتُهم أني ديمقراطي لما كنت لوحدي أقول في داخل الصف الجهادي أن الشورى واجبة وملزمة، ثم صار الأغلب إلى صفي لما ذاقوا آثار أقوال الآخرين وخاصةً جماعة الجهاد من يديّ سيّد إمام.

السائل: شيخنا أحاديث الرسول ﷺ كثيرة عن الحكام ويظهر من بعضها التعارض فكيف نوفق بينها؟

الشيخ أبو قَتادة: أخي الحبيب الطريقة هي انفكاك الجهة كما سماها الأئمة الأحناف، والحق أن حياة النبي ﷺ هي الجواب على واقع السياسة الشرعية في ما يخص الفقه السلطاني.

السائل: شيخ، هل تقصد أن الشورى ملزمة كي تمنع استبداد الحاكم لأن الخلافة الراشدة غير موجودة؟

الشيخ أبو قَتادة: لا، شيخي الحبيب، بل أقول بأن الخلافة الراشدة لا تُسمّى كذلك إلا لأن الشورى ملزمة عند الخليفة الراشد.

السائل: يعني الشورى ملزمة عند الخليفة الراشد فالأولى أن تكون ملزمة عند غيره؟

الشيخ أبو قَتادة: نعم، أخي.

السائل: شيخنا الحبيب أبا قَتادة، ألا ترون أن الأصل في موقف الرعية من الحاكم أن تجمع الأحاديث الواردة في شأن موقف المسلم من حاكمه سواء التي تأمر بالسمع والطاعة أو التي تأمر بالخروج عليه حتى يكتمل المشهد وتتضح الصورة والموقف الذي ينبغي أن يأخذه المسلم تجاه حاكمه إذ أن أخذ الأحاديث مع إغفال بعضها من سمات المبتدعة؟

الشيخ أبو قَتادة: الذي أعتقده أن جمع هذه الأحاديث أيسر من جمع أحاديث نقض الوضوء لمس الذكر أو عدم نقضه، لكن أصل المسألة يبدأ بتصورنا لحقيقة موضع الحاكم من الرعية، ما هي طبيعة العقد؟ هو عقد إجارة ووكالة وأقرب إلى الوكالة فقط. هذا ليس كلاماً نظرياً فقط لنقول كلاماً عن عظمة الاسلام، بل هو حقيقة، وهو أن الحاكم وكيل للأُمَّة.

السائل: يُفهم من كلامكم شيخنا الحبيب أن العقد بين الرعية والحاكم هو عقد إجارة ووكالة؟

الشيخ أبو قَتادة: لنترك كلمة إجارة الآن، هو عقد وكالة.

سؤال حول إقامة الحدود في بلاد الشام

السائل: شيخنا الغالي؛ ما تعليقكم على مشاهد ووقائع «إقامة الحدود» التي تحدث الآن في بلاد الشام؟

الشيخ أبو قَتادة: أَصدقكم أن هذه لا ينبغي نشرها، لأن ضبط النشر اليوم غير ممكن، وتستغل بطريقة سيئة، ولكن – هذه مهمة جداً – أقول ولكن هناك الكثير ممن ينكر نشرها مردُّ إنكاره لأمرٍ غير جيد، وهذا لاحظته في نفسي أول مرة رأيت فيها إقامة حدٍ على زانيةٍ في أفغانستان، فرأيت في نفسي نفوراً شديداً، ولَمّا راجعت السبب في نفسي فوجدت أنه غير شرعي بل مذموم، فهذه صور أَلَمَ لَم نألفها، ولَم تستقم في نفوسنا بعد أن الله يحبها، فالصورة التي نراها هي امرأة، هذا واحد، وهذه على الجملة تثير الشفقة، وهي تكون في حالة انكسار، وهذه ثانية، وهذه مؤلمةٌ لنفوسنا كذلك، وثالثاً نراها محجبة تلبس الخمار على رأسها لحظة الحد، وهذا بحد ذاته في البلدان العَلمانية في الحالة الاجتماعية يعني أنها متدينة، وهذا شعورٌ نفسيٌّ فقط، ولكسر الخجل المذموم في نفوسها من الآخر، والذي مبعثه الضعف أمام إعلامهم، فأنت تجد أن أخاً يقول وهو محق من جائني أن العبرية ستطير بهذه الصور، إذاً نحن نعاني شعور ضعف ما، هذا كله نقطة واحدة.

الآن النقطة الثانية، من المعلوم أن تصرفات الدولة قبيحة، لا من جهة صورة الفعل ولكن من جهة تكييفه، ولكن النفس البشرية لا تفرق بين التكييف وبين الصورة بل قد تجمع بينهما على طول الخط، فرجلٌ سمع كلمة لحظة ما، فستصبح هذه الكلمة في ذهنه مربوطة بهذه الصورة، ولذلك صار صورة القتل أمام الكاميرا مذمومٌ في نفوسنا لفعل الدولة له على غير وجهة الشرع، فنحن كلما رأينا هذا الفعل ذممناه على هذا المعنى، وهذا غلط، لكن يمكن لطالب العلم والداعي والعالِم أن يخرج نفسه من هذا الأسار بالتفكُّر والعلم، لكن ماذا نصنع مع العامي، أعتقد أننا نحتاج إلى وقتٍ طويل لإصلاح هذه الحالة، ولذلك أطلب من إخواني عدم فعلها أمام الكاميرا، لكن لو قال لي فعلناها لانتشار هذا الشر فأردنا زجر الناس لكان لهم مقصدٌ طيب، وهذه مصلحةٌ أعلى مما ذكرنا.

إقامة الحدود أمرٌ ممدوح، وفيه خيرٌ في الآخرة وفي الدنيا، ونحن نتكلم عن آلية تطبيقه، وعن موانع التطبيق كذلك، وأنا اعتقد ولي بحثٌ في هذا أن العبرة هي القدرة، والنظر إلى أصل قيامنا، أي الجهاد وليس الحسبة، ولم نصل للتمكين الكامل الذي يوجب علينا هذا الفعل، لكن إن قدرنا أن نفعله فعلناه، وإن رأينا أنه يضر بأصل قيامنا

أجلناه، وهذا يقدره الإخوان من القضاة والقادة، وأمّا آلية الفعل من التصوير والنشر فأنا ضد هذا، مع اعترافي بوجود بعض المنافع، والله أعلم.

استدراك الشيخ المحدث صادق بن عبد الله السوداني: حقيقةٌ غائبة أو مُغيّبة أو متنكّرٌ لها أو مُؤولة ... هذا من شؤم التصوير والله حكيمٌ عليم فإن من عالج الحد ووقف على معطياته وملابساته وتأمّل مخاطر تعطيله والتنكر له يختلف عمن يرى ذلك في الصور. ولكنا ما زلنا بين قول هذا وذاك ومصالح ومفاسد وراجح ومرجوح وتبقى حكمة الله وعلمه أعلى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾.

جواب الشيخ أبو قَتادة على الاستدراك: شيخنا أبو عبد الله الهاشمي؛ تقول هذا من شؤم التصوير. لا أظن أنك تقصد التصوير مطلقاً، فالتصوير مهم جداً في الجهاد، وهو أحد آلات الدعوة، بل هو في الدرجة العليا منها، والصورة لها قوتها، لكن لو طلب من الإخوة أن يشرحوا لِمَ فعلوا هذا علناً فربما لهم مصلحة شرعية معتبرة كالزجر الشديد لأمورٍ شاعَت وانتشرت.

سد الفراغ في العراق

السائل: شيخنا أبو قَتادة؛ كيف يمكن سد الفراغ في العراق إذا ما سقطت دولة البغدادي؟

الشيخ أبو قَتادة: نحن ننتظر مأساة بكل معنى الكلمة في العراق خاصة، وسقوط الدولة ينتظر الزمن، هذا إن بقيت الأمور دون تحولات في الصورة، لأن الأحداث علمتني أن التحولات لا تسير وفق شيءٍ محدد، بل تحدث الطفرات، على طريقة كلام القرآن عن الإهلاك بقوله فجأة، ولذلك قد يحدث شيء جديد على المشهد في العراق، أسأل الله أن يكون خيراً، لكن إن تواصل المسير على هذا النَسَق فالمصيبة عظيمة، وحين أتحدث عن ملئ الفراغ فأنا أتحدث عن أملٍ ضعيف، وأكرر بحسب المشهد الحالي، وأنا سأتحدث عن أمرٍ مهمٍ جداً يتعلق بصورةٍ خفية عن إجرام الدولة ، وهو إحدى صور فساد الدولة الإسلامية قبل سقوطها في سنة 1916، ذلك لأن الخلافة الإسلامية في كل أطوارها حاولت دائماً إلغاء الأُمَّة من أجل مصلحة الدولة، وكان هناك صراعٌ بين قادة الأُمَّة وهم العلماء وبين الدولة، وفي الخاتمة ذابت الأُمَّة في الدولة، وكان هذا بَيّناً في إنشاء مجلس فتوى في الدولة العثمانية، وسببه الخصومة بين مشايخ المذاهب الأربعة والمفتين فيها، فتدخلت الدولة بأن جعلت مجلساً للفتوى لَمّا دخل سليم الثاني دمشق، وهو أشبه بهيئة كبار العلماء كما هو في بعض البلاد، وهذه نهاية الخصومة وانتصار الدولة على الأُمَّة، وكان مظهر هذا الفساد من إلغاء الأُمَّة وقادتها وهم العلماء هو أنه لَمّا سقطت الدولة لم تستطع الأُمَّة إحياءها من جديد، بل ذاب قادتها – أي العلماء – في الوضع الجديد، ولَمّا قامت دولة الوهابيين ذابَ مفهوم الدعوة في مفهوم الدولة لأول مرةٍ في الإسلام بعد الخلفاء الراشدين، دولة البغدادي دمرت أيَّ محاولة إصلاح لإحياء الأُمَّة، وذلك بإعلانها الدولة التي تقتل الأُمَّة، ولذلك سقوطها سيكون سقوط هولاكو، هذه مصيبةٌ عظمى تنتظرنا، ذلك لأن الدولة المعاصرة الإسلامية اليوم هشّة ضمن «الظرف السُنَني» كما أسميه ويسميه غيرنا بـ «الظرف الموضوعي»، وسقوطها محتمل، هذا إن قامت قياماً صحيحاً لا سقطاً ولا بعملية قيسرية ولا بحملٍ كاذب كما فعل البغدادي الضال ... ماذا ننتظر إن قامت دولة هولاكو لا دولة الإسلام التي حملت إلينا من خلال الأُمَّة الحامية كما هو شأن الفعل النبوي؟ النتيجة أن السقوط مأساة، بل فجيعة، بل مصيبة، وهذا ما ننتظره بجلاء إن ذهب البغدادي عن أماكن السُنّة في العراق ... **كيف نملئ الفراغ**، كان هذا هو السؤال، أَصدقكم أنه سؤال ترفٍ فِكري في العراق، لا تملك أي ورقة من أوراق اللعب في العراق، أحرقها كلها البغدادي الضال، يمكن فقط الدعوة إلى انشاء كيان سُنّي يستطيع التقاف بعض الأجزاء الساقطة من هذا المسخ المملود – بما تقدم ذكره – بخلاف

سورية، يمكن شيء آخر وأكثر أملاً، وإن كان مكلفاً، وهذا ما ينبغي على الجماعات المجاهدة الاهتمام به الآن، والاستعجال في التهيئة لظرفه القادم.

اللهم سدد، هذا ما عندي من قول في هذا الباب.

السائل: أظن أن بعض المبايعين من جماعة أنصار الإسلام، سوف يجدون فرصةً لفك البيعة بعد ضعف الدولة ولا أقول سقوطها في العراق.

الشيخ أبو قَتادة: أنصار الإسلام فيهم خيرٌ عظيم ويجب الاعتناء بهم والبناء عليهم.

السائل: فاجعة ومصيبة وانتكاسة في العراق، وقد يصبح الناس في إحباط أكثر من الإحباط الذي حصل في الجزائر وحماة، ويصعب العودة، والمشكلة أنه لا توجد جماعات سُنيّة ذات ثقل تواجه منهج الدولة قبل سقوطها بحيث أن تستطيع تخرج بصورة طيبة للناس، مثل ما هو حاصل في الشام.

الشيخ أبو قَتادة: أخي، هذا ما قلته، أن الدولة دمّرت الأُمَّة، دمرت غيرها، «الناس–العلماء»، هم طغاة بكل معنى الكلمة، دولة الإسلام تُحيي الأُمَّة وتبعثها وتقيمُ مؤسساتها، لا مؤسسات الدولة، ومن ذلك العلماء المستقلون والمعاهد العلمية والخطباء الذين يأمروها وينهوها، الدولة أرادت ابتلاع كل شيء وقتلت غيرها، سقوطها يعني: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾.

جاءني صحفي أمريكي مسلم مكث في سورية سنتين، تعجبت من تحليله لمصائب جماعة البغدادي، قال كلمة هي أشبه بنكتة قلتها لإخواني في الأيام الخوالي، كنت أقول لليبيين مثلاً: أنتم قذافي صغير، وللعراقيين: أنتم صدام صغير. كلكم ورث شيئاً من طاغوته بطريقةٍ مصغرة، ومهما تكلمتم عن الحكم في الإسلام فأنتم رأيتم الحكم من خلال حاكمكم، وهو من صبغ هذه الأذهان، لما جاء هذا الصحفي قال نفس الكلام، قال البغدادي صدام ولكن بلباس إسلامي، الطاغية نموذج ... بعضهم يلبس عمامة، بعضهم يلبس بنطلوناً، بعضهم يلبس دشداشة.

فُقهاء الخبز

السائل: كيف لهؤلاء المشايخ عدم النظر إلى الانتصار لرسول الله ﷺ، وأن هذا أمرٌ ممدوح لا يختلف فيه أهل النظر والاجتهاد؟

الشيخ أبو قَتادة: إن هؤلاء مدخولون من أمرين اثنين أو من أحدهما...

أولاهما: عدم ضبط الفقيه لترتيب الضرورات الشرعية، وهذا أمرٌ منتشر في هذه الأيام لحبُّ الدنيا وضعف ذكرى الدار الآخرة، فإن العلماء قد أجمعوا أن ضرورة الدين مُقَدَّمَةٌ على كل الضرورات، فلو تعارض في الوجود ضرورة الدين مع ضرورة حفظ النفس أو الأموال قُدِّمَت ضرورة الدين، وهذا إجماع، ويفهم هذا من نظر أن الحياة الدنيا لا تُقَدَّم على الآخرة بحال إلا في نفوس مريضة.

وثانيهما: عدم وجود تعظيم الرسول ﷺ في نفوس بعض المفتين، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾، فهؤلاء المفتون يأكلون بحديث وفقه رسول الله ﷺ، وهم يشربون بسبب ما انتسبوا إليه من الشريعة، وهو صاحب الفضل فيها في البشر، ولو كان في قلوب هؤلاء تعظيم الرسول ﷺ، كما لو كان عندهم الوفاء لإحسان رسول الله ﷺ إليهم لانتصروا له. وأنت ترى الواحد من هؤلاء لو حُبِسَ عنه شهرٌ واحد من أجرته لأرغى وأزبد وقام لها ولم يقعد كما لو أخذ بيته منه لطلب النُّصرة من البشر جميعاً، لأنه مُعَظِّمٌ لدنياه، أمّا انتهاك حرمة الحبيب ﷺ – بأبي هو وأمي – فليست بشيء عنده. وقد حدث أن خرج أئمة مساجد دولةٍ من الدول في مظاهرةٍ يطالبون بزيادة الأجور وهددوا إن لم تزد الحكومة أجورهم فسيقولون الحق فيها في دين الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وفي سورة الأعراف لما قدم الله فيها أسباب الفساد في الوجود بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، كان شرح هذا الإفك منهم ما ختمت به السورة من ذكر بلعام بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. فمن جمع بين الأمرين علم أن الافتراء على الله إنما يقع بسبب البلاعمة.

ومن نظر في سورة التوبة ولماذا قدم الله فيها وصف أهل الكتاب بأن فيهم الأحبار الذين يأكلون أموال الناس بالباطل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم ختمها بذكر كنز المال وهو صنيع الرهبان والأحبار فيهم، وتفكر في سبب ورودها بعد ذكره ما عليه أهل الكتاب من الشرك بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، عَلِمَ أن هذا هو سبب الفساد، وأن هؤلاء هم أصله، يسبغون على الباطل الشرع واسم الله.

حفظنا الله من الشر والفتن ما ظهرَ منها وما بطن.

كلمة حول الشعر

فقط استرعى الانتباه قول الأخ أبو محمود عن قول الشعراء ومدى صدقهم، عندي أمر وقول في هذا الباب أحب أن أقوله ... وهو التفريق بين «عبيد الشعر» كما يسمونهم وبين غيرهم من أصحاب القصيدة أو الأبيات القليلة دون أن يتخذه سبيلاً وعملاً تدخله في مُسَمّى عبيد الشعر، وهو أن الناس ونقدهم للشعر – أي قديماً – كان من أبحاثهم مدى الصدق في القول، هذا مع تأمّلهم للمعاني والحكمة، فإنهم كانوا لا يعدون الشاعر شاعراً حتى ينطق بالحكمة، وكلمة الحكمة عندهم أوسع من معناها عندنا اليوم، فالحكمة عندهم علمية ولفظية وعملية، وعند «عبيد الشعر» فإن كشف مخبوء النفوس ليس عسيراً، ولَمّا تأمّل من تأمّل في شعر المتنبي رأى تكراراً عجيباً لكلمة (الحسد)، حتى أنه سمّى ابنه مُحسد.

فالبيان يفضح الباطن لأنه بيانٌ عن النفس وما يدور فيها، ومهما تخفى في مقطوعة فستفضحه أخرى، والعبرة بشرف النفس وعلوها، لا مجرد اللفظ وتحديد مراده فيه، فنحن نجزم أن عمرو بن كلثوم شريف النفس، وشِعره يدلُّ على هذا، وكذلك عنترة، ومن تأمّل شعر زهير عَلِمَ تأملات الرجل وحكمته البيانية بل وصدقه كما قال الفاروق عنه وكُلٌّ من المعجبين به ويقفر شعره وأقواله. فالقول أن شعر الشعراء لا يبين عن نفوسهم غلط أراد به اصحاب هذه الكلمة صرف أمّتنا عن اشرف الدها وهو الشعر، ومن خبثهم في سلوك هذا الطريق التدقيق في ظاهر اللفظ دون المعنى العام الكاشف عن خسّة النفس أو شرفها، عن حكمة الرجل أو بلادته، وذلك كتب عم كلمة عمرو:

مَلأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا وَمَاءَ البَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا

والعبرة بكلمة عمرو هو الإرادة لا الحديث عن القدرة، ولذلك لن تبقى كلمة مدح من شاعر يقولها عن نفسه أو عن غيره وهي غير حكيمة عند سامعيها، بل سترمى في مزبلة التاريخ، ولكن على الناظر أن يتأمّل شعر الرجل كله لا الكلمة والكلمتين أو البيت أو البيتين، فهذه طريقة البحث عن نفس المتكلم في كلامه، ونهاية القول إن قول أعداء الشعر العربي أنه لا يكشف عن حقيقة الشاعر ولا بيئته هو من قبيل إسقاط هذا الإرث الذي هو باب العلم في القرآن.

التوحش الكلي والجزئي وارتباطهما بمفهوم الدار والدولة

السائل: شيخنا، قلت سقوط سلطة الطواغيت المركزية هي توحش جزئي، وسقوط الدولة المركزية (أمريكا) توحش كلي. وفضيلتك فرقت بين مفهوم الدار ومفهوم الدولة، وقلت أكثر ما نسعى إليه هو إيجاد دار. هل هذا يعني أن سقوط الطاغوت يعني إدارة توحش جزئي يقيم دارا، وسقوط أمريكا توحش كلي يقيم دولة؟

الشيخ أبو قَتادة: أخي الحبيب إسماعيل ...

علمتني سورة الفتح وغزوة الحديبية أمراً ذكرته في [صبغة الله الصمد]، وهو له تعلق بقدر الجهاد والدعوة. إن حالة المدافعة بين تيار الكفر المقيم المسيطر وبين حالة الإسلام الصاعدة النامية أنها تبقى على هذا الوجه، وهو صعود حالة الإيمان صعوداً متوازياً مع هبوط الوجود القائم للطاغوت، ويبقى هذا الصعود والنزول حتى يقع الاستواء، وعند هذه الحالة يكون الفتح والذي هو اعتراف الجاهلية بسلطة الإسلام السياسية، وهو الذي وقع من قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي سمّاه الله فتحاً في الحديبية.

إذاً هنا اعترفت الجاهلية بهذا الوجود حالةً سياسية كما في شروطها المعروفة. فالله تعالى أكرم النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وهو إكرام لمكة أن سقطت بكليتها في يد أهل الإيمان.

حالتنا فيها اختلاف ...

نحن الآن نضرب في أطراف الطاغوت الكبير قريش أي امريكا. وكما ترى يقع التوحش الجزئي فيه، وقد حصل الخير العظيم، إذا لم تستطع الجاهلية إعادة أي كيان سقط لها من أفغانستان إلى الصومال والعراق والآن ليبيا واليمن وسورية.

والذي يكرهه البعض هو الخير لنا؛ أي سقوط المركزية لهذه الدول وتحولها إلى حالة توحش جزئي، وفي هذه الظروف نحن نعيش ونحقق وجودنا وأعمالنا. وأمّا ما يسمونه بـ «الأمن والأمان» فهو ڤيروس قوتنا أي الذي يخرب علينا؛ فكلما سقطت مركزية الدولة نشطنا وعملنا.

أمريكا هي قريش ... وابن قتيبة يقول إن قريش سُمِّيت بهذا لأنه كدابة عظيمة في البحر تأكل غيرها، أي التي تُسمّى اليوم بالقرش. نحن لن نفتح امريكا ... ولن تسقط في يدنا ... لكنها ستسقط في الفوضى ... وهي مركز الطاغوت اليوم ...

أوروبا بجانبنا ... وفيهم عوامل البقاء الحضاري كما في حديث عمرو بن العاص في مسلم فارجعوا له.

إن سقط المركز سقطت الأطراف، وعالمنا الإسلامي اليوم هو من أطراف هذا الطاغوت، فسيؤدي إلى نشاطٍ أكثر وعملٍ أكبر للحركة الجهادية التي ستدخل فيها الأُمَّة. لأنها ستطرح الحالة الجهادية حول أقوى مفتاح للصراع في المنطقة وهو قتال دولة يهود. وحين تتحول الأُمَّة إلى حالة جهاد يتحقق قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾، وهي تعني أن الله يجعل هذه الأُمَّة أكثر دخولاً في الجهاد فقال ﴿ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ لا نفراً، وهذا عندي أن سقوطها سيكون بالعمل الذي تمارسه طوائف الأنصار لا عمل الجيوش.

وهذا المعنى يلتقي مع مفهوم «الدار» أكثر من مفهوم «الدولة»، لأن «الدولة» كيان رسم على أساس الاستقرار و«الدار» كيان رسم على أساس الجهاد الذي يخرب مفهوم الاستقرار عندك وعند الخصم.

المهم أننا لن نستطيع أن نحقق زوال دولة يهود إلا من خلال مفهوم «الدار»، أي إبعاد مفهوم «الدولة».

فمفهوم «الدولة» هو بناءٌ عصري ليحقق المركزية التي تحقق مقاصد بانيها، ودولياً بهذا السياق بنيت طاغوتياً. ودولنا اليوم بهذا السياق.

فأردت أن أقول بأن مفهوم «الدولة» المعاصر يحقق للعدو ساحة القتال الملائمة له. وأنتم ترون في كثير من الحالات يكون السيطرة على العاصمة هم المجاهدين الأكبر وهو في حقيقته دخول مع الخصم في خطة العدو كما يسمونها.

وهناك قاعدة مقررة أن المرء يصنع العلة الصورية لتلائم العلة الغائية كما يقول المناطقة.

إذاً علينا أن نختار الآلة، أي كياننا وأرضنا وبناءها الملائم لأهدافها في إزالة الغربة وضرب مركزية الكفر للتفرغ للأطراف، أي الدول الطاغوتية الداخلة في سلطان قريش (أمريكا) ... يعني عندما بنيت الدولة المعاصرة بنيت على هيئة تلائم مقاصده.

فنحن نسعى لوراثة الدولة المعاصرة حتى في صورتها الهيكلية وهذا غير سديد.

ولذلك لا بُدَّ من بناء كياننا السياسي بما يحقق لنا أهدافنا. وأول الوسائل هو إسقاط مفهوم «الأمن والأمان»، لأنه يعني «مركزية الطاغوت». فيصبح لدينا مساحة تسمح لنا بالتحرك وإنهاك الخصم.

والحالة الملائمة لنا حتى تسقط «مركزية الطاغوت» الأكبر هو مفهوم «الدار». وهي بالنسبة لقريش هوامش وبالنسبة للطاغوت الصغير كذلك هوامش، وهي أراضي ميتة بالمفهوم العسكري. وفيها نرتب أوضاعنا وتخرج فينا خراجات القيح وقتاً قليلاً ثم تذهب حتى يسقط الطاغوت سقوطاً كلياً بالموجود السياسي حينها تتشكل معالم الإمامة العظمى. فمركزية الطاغوت هي حالة الاستقرار التي يعيشها دون منازعة أو مناكفة أو استبدال.

كما ترى هناك دول مستقرة أمنياً، فمركزيتها قوية. وصلاح الدين لما دخل القدس سقطت بعده بعام ولكن لم تعد بالأهمية التي كانت عليها من قبل. لماذا في ظنكم هذا مع أنها مكان مقدس لم يتغيّر وصفه الديني؟! لانتهاء دور القدس كأهمية عسكرية. وذلك أن صلاح الدين هدم أسوارها

، فصار السيطرة عليها لا يعني أي مفهوم عسكري، أي أنها صارت أرضاً لنا لكن بشرط دخول الناس في الجهاد.

ولذلك أرى أن قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ ولَم يقل نفراً، دلَّ على أن الجهاد الذي يسقطها هو نظام الأرض الميتة كما سقطت روسيا في أفغانستان.

لكن تنبّه: إن أهم ما قلته أن نصرنا اليوم بإسقاط مفهوم «الأمن والأمان» أي صناعة الفوضى.

هذا هو جوابي على سؤالك.

سُنَن الحق في السُنّة والبدعة في النمو والبقاء

السائل: إني أحاول أن أضع نفسي مكان أهل البدع كي أفهم كيف يفكرون وكيف عقولهم يستخدمون، فأجد نفسي مجنونا أو عقلي مخبولا. فسألته عن أسباب قوة انتشار البدعة ومسارعة الناس إليها، وما هو تفسير ذلك؟

الشيخ أبو قَتادة: البدع تنشر في الابتداء، ثم تؤول إلى الانتهاء ... والحق يبدأ قليلاً ثم ينمو ...

انظر إلى طائفة الجهاد كيف تنمو وسط الأعاصير قليلاً، قليلاً إلى الأرض المقدسة بلطفٍ غريب مع الفتن. تظن أنها ستهلك في كل عاصفة، كخامة الزرع كما وصفها المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء)، وأخرج مسلم في صحيحه عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج ، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة) لكنها تنمو رويداً، رويداً. هذه يد الله سبحانه وتعالى.

والفرق بين الحالين أن البدعة والشر تستهوي الصغار والأطفال وأصحاب الأهواء وهم الأصل في البشر كما يقرر القرآن ذلك، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (هود 17)

وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف 40)

وقال تعالى: ﴿ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الرعد 1)

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص 50)

فإذا قامت البدعة والشر طاروا إليها بلا تفكر ولا نظر، وأمّا الحق فثقيل، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أن ما من أحد دعاه وإلا وكان له توقف في الاستجابة ، إلا أبو بكرٍ رضي الله عنه، فقد روى ابن اسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الحصين التميمي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة و تردد و نظر، إلا أبا بكر ما عكم عنه حين دعوته، و لا تردد فيه)؛ ولذلك الحق يسري رويداً بين الناس، ثم لو قام في أول الدعوة لما علم الناس يد الله تعالى، ولما كان في ذلك حكم الابتلاء، ولما وقع الحق موافقاً للقدر الذي يلائمه من النصر وهو ما يُسمّى بـ «الظرف السُنَني» للبقاء والنمو والارتفاع.

والفرق يلاحظه المرء في طريق الأنبياء وسُنَن نصرهم وظفرهم بمرادهم، كما أنه يستطيع ملاحظته في بناء أهل البدع كيف تقوم متسارعة كالثور الأهوج ثم تبدأ بالإنحسار، ولو تفكرت لرأيت أن هذا فيه ابتلاء الله للناس، لأنها باقبالها – أي البدع – على هذا الوجه من التدفق والثوران فتنةٌ لأهل العلم والناس، فالعالِم لا تضره ولا تفتنه حتى وهي في أوج قوتها ، وأمّا الناس فيتساءلون ويقعون في الشك، والذين يريد الله إبعادهم يسقطون.

وهذا المعنى كذلك في الحق، حيث لا يقبل عليه في الابتداء إلا أهل العلم والنظر ومن أراد الله لهم الخير فيحصل لهم السبق الذي يحقق أعظم الرضى الإلهي.

ولو طبقت هذا على واقعنا لرأيت أن طائفة الجهاد كانت دوماً تقوم على الصفوة، ولم ينضم إليها إلا من استطاع الخروج عن سطوة من سموا بالعلماء من أصحاب الاسماء الكبيرة، وتحملوا أعظم المشاق، وقدموا أعظم التضحيات، في زمن كانوا هم القلة، وفي كل فترة كان البلاء عظيماً، وفي كل مرحلةٍ تظن أنهم قد ذهبوا وانتهوا، ولكنهم مع ذلك ينمون ويتكاثرون وينتشرون ويلحق بهم الناس.

البدعة تبدأ كبيرة يهرب الناس إليها، ويكون فيها الهوى والشهوة والشهرة والبريق الذي يخطف أعين الاطفال، لكنها بعد ذلك تبدأ بالإنحسار والذهاب. ولقد تعجبت كثيراً من انتشار الإسلام خلال الحروب الصليبية حتى دخل أوروبا، أليس هذه سمة الحق يتقدم وينمو حتى وهو مستهدف مدافع.

ولو راقبت طائفة الجهاد لرأيتها على هذا المعنى، وحين التحق الناس بها قامت البدعة لتصفي الصف وتنقيه، وليلقى معنى البلاء حتى وهي تنمو، وهذه سمة الإسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فهو ينمو ويبتلى وينمو مع البلاء.

ولو تَفَكّرت في حال المنافقين زمن النبي صلى الله عليه وسلم لعجبت كيف يرون كل هذه الانتصارات ولا يؤمنون!!

والجواب هو هذا: إنهم في كل وقت وفي كل ابتلاء يظنون أن هذه نهاية الإسلام، حتى بعد فتح مكة. والكثير من أحبتي يتحيّرون في كلامي عندما أقول لهم إنني أرى فتح بيت المقدس قريباً.

فيقولون: أين أنت من الفتن؟ وكيف ترى هذا مع كل هذا البلاء؟

فأقول لهم ما قلته اليوم: لا نَصرَ بلا ابتلاءٍ يصاحبه، فهذه سمة هذا الدين وخصوصيته، ووالله أني في بعض لحظاتي لأعجب كيف يجاهد إخواننا في بلاد الشام مع كل هذا البلاء والفتن من كل حدب، داخلية وخارجية، فلا أجد جواباً إلا أن الله يريد نصر هذا الدين وقد جاء أوانه إن شاء الله تعالى.

فالبدع تبدأ كبيرة ثم تموت والحق يبدأ قليلا ثم ينمو ليقع قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال 26).

توضيح لمقولة شيخ الإسلام ابن تيمية حول النفاق

السائل: شيخنا المفضال عرض لي كلام لشيخ الإسلام في قراءتي لأحد الكتب ولم أفهمه بدقةٍ تامّة مع أهميته؛ فيا حبذا لو توضحوه لي جزاكم الله خيراً ...

قال شيخ الإسلام: "وجماع الأمر أن الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به، فلا يجب إذا ثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام وهذا في كلام العرب وسائر الأُمَم، لأن المعنى مفهوم.

مثال ذلك المنافقون قد يجعلون من المؤمنين في موضع وفي موضع آخر يقال "ما هم منهم" قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فهناك جعل هؤلاء المنافقين الخائفين من العدو الناكلين عن الجهاد الناهين لغيرهم الذامين للمؤمنين منهم، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾، وهؤلاء ذنبهم أخف فإنهم لم يؤذوا المؤمنين لا بنهب ولا سلق بألسنة حداد ولكن حلفوا بالله أنهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم، وإلا فقد علم المؤمنون أنهم منهم في الظاهر فكذبهم الله وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾، وهناك قال: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾؛ فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلماً مؤمناً وليس مؤمناً، لأن منكم من هو بهذه الصفة وليس مؤمناً، بل أحبط الله عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن." أهـ

ولو تكرمتم علي بأمثلة كان لكم عند الله نافلة

بارك الله فيكم ونفعنا بما حباكم

الشيخ أبو قَتادة: أخي في الله ...

أنت تعرف أن الأحكام منزلة على الأسماء، والأسماء هي للمعاني والأفعال، ويجوز في لغة العرب تسمية الجزئي بلفظ كلي، وهذه إن فهمتها فهمت أصل المسألة، وذلك أن يقول القائل لفظاً كلياً والمراد منه الجزئي من المعنى، وهذا قريبٌ من قول إمام الدنيا الشافعي في [الرسالة]: "عامٌ أُريدَ به الخصوص."

أقول قريب لأنه أصله لكنه في التدقيق يفارقه قليلاً، ومثال ما قلته لك أن الشارع يطلق على خائن العهد منافقاً، فهذا لفظ كلي أُطلق على معنى جزئي. وأنت تعرف هذا المثال كما تعرف أن لفظ الكفر كلي ولكنه يُطلَق على المعصية وهي فعلٌ يدخل في اللفظ دخولاً جزئياً

ولكن لا بُدَّ من طالب العلم من تفعيل هذه القاعدة لتشمل أموراً كثيرة ...

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي خرج ولم يجلس في المجلس مع الصحابة، أعرض فأعرض الله عنه، والمعنى هو الإعراض الجزئي لا الكلي وإلا لكان فعله كفر إذا حملناه على الكلي، وهذا كذلك يعمل به في استدلال العلماء وذلك كقولهم لكل ما فعل معصية فيها نشر المعاصي وتعديها لغيره أنه مُفسدٌ في الأرض، ثم يستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ولكن لا يجوز للفقيه أن يعمل الحد الأعلى أي كلية الآية على فعل لا يدخل فيها إلا دخولاً جزئياً، وإلا لضلَّ وأفسَد. والآن وقد اتضحَّ الأمر فنعود إلى السؤال الذي من طلب شرح كلام ابن تيمية؛ فأنت تعلم أن المنافقين فيهم أمورٌ متعددة، فهم يدخلون مع المسلمين في الأحكام، فهذا جاني يخاطبوا فيه مخاطبة المؤمنين، ونحن هنا نتكلم عن النفاق الأكبر كما تعلم، ثم هم في الباطن لهم أحكام الكفار، فهم ليسوا مع المؤمنين في هذا الباب.

فهذا معنى قول الشيخ وجماع الامر أن الاسم الواحد، وهنا المنافقون وهو اسم يُنفَى أي من حيث هم غير مؤمنين في الباطن، ويَثبُت من حيث هم مؤمنين في الأحكام، وقد يقال العكس في هذا أي هم من أهل الايمان في الأحكام الطاهرة فيدخلون في الخطاب في هذا الباب، وهم كفار في الباطن فيرفع عنهم حكم الايمان هنا. ويضافُ لكلام الشيخ – رحمه الله – أن لهم وصفٌ ثالث لا يدخلون في أحكام المؤمنين ولا أحكام الكافرين وهو وصف النفاق وهؤلاء لهم أحكامٌ ظاهرية كذلك كما في سورة التوبة من منعهم الخروج إلى القتال مع المؤمنين ، وعدم الصلاة عليهم إن ماتوا، مع أنهم يورثوا فالتقوا مع أحكام الكافرين في باب وافترقوا في في غيره.

أرجو أن أكون قد أجبتك، وحاولت الاختصار ما استطعت كما وعدت في الابتداء.

وفقنا الله وإياكم لما يحبُّ ويرضى.

هل عمم الخلفاء الراشدون الشورى بمفهومها الشامل

الشيخ أبو قَتادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

بالنسبة لسؤالك المتقدم حول فعل الصحابة رضي الله عنهم مع الشورى، وأن الشيخين أبي بكر الصديق وعُمَر الفاروق – رضي الله عنهما – لم يعمما الشورى بالمعنى الشامل لكلمة الشورى التي توجب إرجاع الأمر لأهل الحل والعقد.

هذا ما فهمته من سؤالكم حفظكم الله تعالى.

فأقول:

هذا الحكم أن الشيخين لم يرجعا الأمر لأهل الشورى من أهل الحل والعقد غير صحيح ..

فإن تعيين أبي بكر للخلافة كان بسبب قبول أهل الشورى له، ولَمّا بَسَطَ عُمَر يده ليد أبي بكر تدافع الحضور وهم كبارهم للبيعة، ثم لَمّا كان الصباح بايع عمومهم، الأكابر وغيرهم، ولم يتخلّف إلا علي – رضي الله عنه – على الصحيح، ونحن نفهم هذا، وسبب هذا الفهم لو أن اهل الحل والعقد لم يتابعوا الفاروق لما تمّ اتخاذه إماماً وخليفةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بل لانتقضت بيعة عُمَر، لأن مقاصد الإمامة لا تكون إلا بعد رضاهم به إماماً، وبهذا الذي قلت لك قال مجموع أهل العلم من أهل السُنّة مع خلافهم في العدد الذي به تنعقد الإمامة، فإنهم قالوا بأن الإمامة لا تكون إلا بحصول الشوكة التي تقوم بها مقاصدها لا غير، وبهذا اختلفوا في العدد، ولكنهم اتفقوا في العلة الموجبة لهذا العدد، وهذا اتفاق.

وكذلك في الشأن مع الفاروق، فإن أبا بكر اختاره ليحصر الامر ولا يتسع فيحصل الخلاف، ولكن هَب أن الناس خالفوا أبا بكر وقالوا أن الأمير غير عُمَر، لكان الأمير هو من اختاره العرفاء والعلماء والقادة لا عُمَر الفاروق، وهذا لا خلاف فيه، وأمّا الإثم وعدمه فهذا راجعٌ لتقدير الصواب، فإن فعلوا هذا لمصلحةٍ راجحة كانوا مأجورين، ولو فعلوا هذا للهوى لكن لهم حكم فاعل الإثم، وهكذا ...

والعبرة بهذا الفهم تعود إلى تصورنا لحدوث الخلف عما وقع كيف كان سيكون.

واما فعل الفاروق في الخليفة بعده فانه حصر المستحقين لها، والناس قبلوا حصره، ولو خالفوه لَما وقع إلا ما اتفقوا عليه لا ما اختاره الفاروق، والحصر نعمة وفضيلة اوقعها الفاروق لهم حتى لا يتسع الخلاف ويقع الشر، وهذا يدل على ثقة الناس بقول واختيار أبي بكر ثم اختيار عُمَر،

بهذا تعلم أن الصحابة أعملوا الشرع والشورى، لكن الذي وقع أن حكيماً قال له قوله فقبله الحكماء، لا على جهة أن قوله واجبٌ في نفسه لكن على جهة إدراك الحكماء أنه قولٌ صحيح فاتبعوه وذلك لدينهم وورعهم.